كيف تقود نفسك للنجاح

في الدنيا والآخرة

الدكتورة شيرين خورشيد

كيف تقود نفسك للنجاح
في الدنيا والآخرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

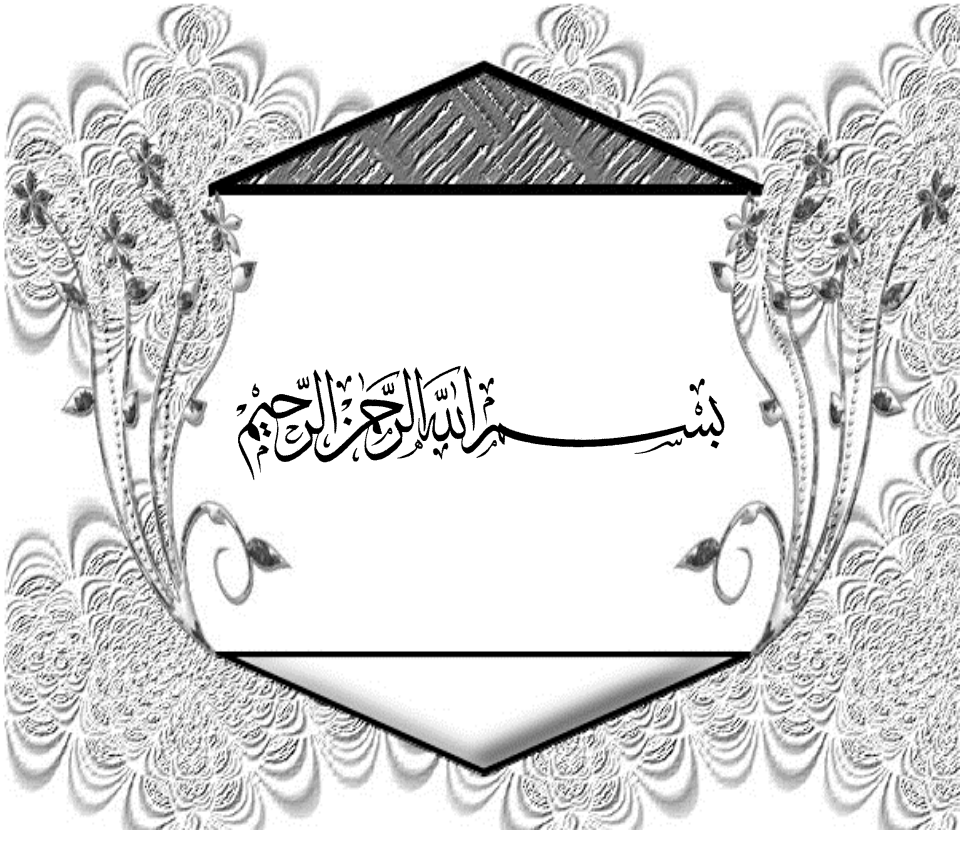

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرشدة التربوية الدكتورة

شيرين خورشيد

دورة تدريبية بعنوان

كيف تقود نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة

البريد الإلكتروني

Shereenkhorshid@hotmail.com

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

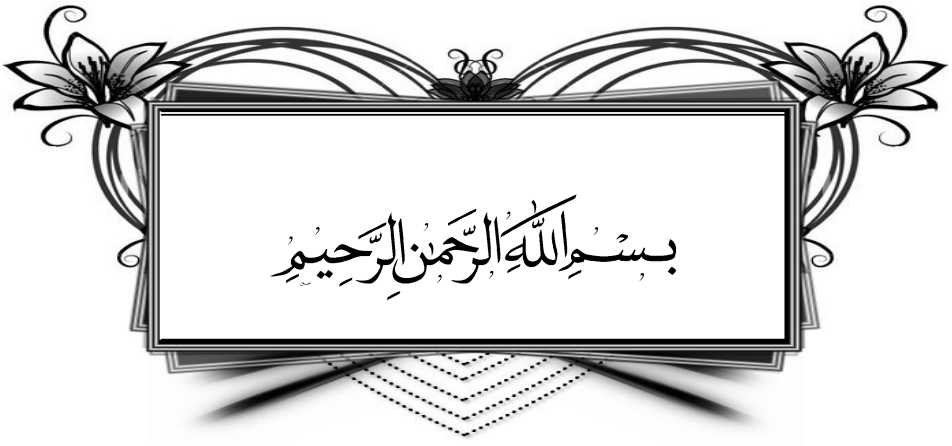

والحمد لله ربّ العالمين والصَّلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، أما بعد:

فهذه مذكرة دورة كيف تقودين نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة راجية المولى عزَّ وجلَّ أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم فألقى الله وحده لا شريك له بقلب سليم مبرئ من جميع الأمراض والآفات والشبهات، مؤمنة بالله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا ندَّ له ولا ولد، إيماناً جازماً أنفي به الوهم والشك والظن وأثبته بعلم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين.

هذه الدورة التي أرجو الله عزَّ وجلَّ أن تعتبر نتاج علمي وعملي وجهد شاق سرت به في درب الحياة لمدة ٢١ عاماً، أنهل العلم من أساتذتي الكرام الذين لهم الفضل بما وصلت إليه من علم، فأتقدم بالشكر الجزيل لكل من علمني حرفاً، وأسأل الله أن يجزيهم خيراً. كما وأخص بالذكر زوجي الشيخ أحمد سعيد بصبوص لما أولاني من مساندة في جميع مراحل تحضير هذه الدورة. كما وأدعو الله الكريم أن يجزي عنّي خير الجزاء كل من أسهم بطرح فكرة أسهمت بإغناء الدورة.

وأختم كلامي بالصَّلاة والسلام على سيد المرسلين، جاعلة آخر دعوانا أن الحمد الله ربّ العالمين أن قدَّرني على إنهاء هذه الدورة، وجعلكم عليه شاهدين، وبإذنه تعالى منه مستفيدين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د.شيرين خورشيد

بيروت بي ٢٠١٤/١٢/١٦م

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محاور الدورة كالتالي:

المحور الأول: ممّ يتكون الإنسان:

١ ـ مراحل خلق آدم عليه السلام.

٢ ـ الأمانة.

٣ ـ الفطرة.

٤ ـ ممّ يتكون الإنسان.

المحور الثاني: التعرف على النفس:

١ ـ القلب.

٢ ـ العقل.

٣ ـ النفس وصفاتها.

٤ ـ إدارتها وقيادتها.

المحور الثالث: ما هي خطوات النجاح؟

١ ـ تحديد العدو ومعرفته.

٢ ـ تحديد الهدف والأولويات.

٣ ـ تحديد الرؤية والرسالة.

٤ ـ مفاتيح تقودك إلى النجاح.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المحور الأول:
ممّ يتكون الإنسان

١ ـ مراحل خلق آدم عليه السلام.

٢ ـ الأمانة.

٣ ـ الفطرة.

٤ ـ ممّ يتكون الإنسان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحمد لله ربّ العالمين هادي الأنام إلى صراطه المستقيم، وصلى الله على محمد الهادي الأمين بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونحن على ذلك من الشاهدين؛ **أما بعد**:

أذكركم بالهدف من هذه الدورة وهو تنشيط قدرة العطاء والتجديد وصولاً لدرجة إثبات الذات ونجاحها في عملها وحياتها.

وقبل البدء بدراسة هذه الدورة سأعطيكم مثالاً بسيطاً من حياتنا اليومية؛ وهو تعلم قيادة السيارة، حين نود تعلم قيادة السيارة نلاحظ أن هذه المهارة تنقسم إلى شقين:

الشق الأول: تعلم مكونات السيارة وقوتها، والأهم السؤال عن نوع السيارة التي أريد، والشركة التي سأتعامل معها، والإلمام بالتفاصيل الدقيقة التي عليّ أن أعرفها قبل شرائي للسيارة من قوة المحرك إلى مصروف السيارة من بنزين، إلى آخر ما يتعلق بالهيكل الداخلي للسيارة ومستلزماتها الضرورية.

أما الشق الثاني: فهو المهارة التي يجب عليّ أن أتعلمها لكي أقود هذه السيارة والتي تشمل التركيز، السرعة، مسافات التوقف، والأهم كيف أسيطر على المقود، لأخوض امتحاناً في نهاية المطاف للحصول على رخصة قيادة تخولني من قيادة السيارة في الأماكن العامة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا مثال بسيط عن قيادة سيارة فما بالكم عن قيادة طائرة أو سفينة؟ والأصعب من ذلك كله كيف أقود نفسي للنجاح في الدنيا والآخرة. ولله المثل الأعلى فالله عزَّ وجلَّ هو خالقنا وخالق هذا الكون وهو العليم الخبير بسرائر عباده وضمائر قلوبهم، الخبير بأمورهم الذي لا يخفى عليه شيء ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فهل سألنا أنفسنا يوماً لِمَ لا نتعرف أولاً إلى الله عزَّ وجلَّ لنعرف ما يريده منّا وإلى أين يجب أن نقود أنفسنا لنسعد ونسلم؟!

فهل سألنا أنفسنا يوماً لِمَ خلقنا وما السبب في وجودنا في هذه الدنيا؟

فهل سألنا أنفسنا يوماً مِمَ أتكون أنا وما هي المعطيات التي جعلها الله عزَّ وجلَّ لي كي أعيش في هذه الدنيا؟

وهل تعرفت على نفسي أولاً وقبل كل شيء؟ وهل اكتسبت مهارة لكي أقود نفسي في الطريق التي أرادني الله عزَّ وجلَّ أن أسير عليها؟

للإجابة عن جميع هذه التساؤلات كانت هذه الدورة.

وفي النهاية إذا تعرفنا على جميع هذه الإجابات، نتوجه بالدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ أن يرحمنا فإنه بنا راحم ويغفر لنا فإنه الغفور الرحيم، ومهما تعلمنا ومهما تعبدنا لله عزَّ وجلَّ لن ندخل الجنّة إلا برحمة الله تعالى. ولكن ما علينا سوى العمل لقول الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾ [التوبة: ١٠٥].

إذن ماذا سنستفيد من هذه الدورة؟

سنتعلم عدة مهارات تقودنا إلى النجاح في الدنيا والآخرة:

- **المهارة الأولى**: والأهم معرفة أين أنا من هذه النفس التي بين جنبي فأتعرف عليها ولا أبخل عليها بإعطائها حقها.
- **المهارة الثانية**: ألا وهي كيف أتحاور مع نفسي حواراً هادئاً يساعدني في إخراج نفسي من السرداب الذي وضعته بها طوال هذه السنين لتنطلق من جديد.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

- **المهارة الثالثة**: وهي مهارة تقنية لكي أقود نفسي فأتعرف على الطريق الذي أريد السير عليه.
- **المهارة الرابعة**: وهي مهارة خطيرة جداً ألا وهي كيف أحارب أعداء نفسي الداخلية والخارجية. وكم هي صعبة!! فالجهاد فيها أشدّ وأقوى على النفس.
- **المهارة الخامسة**: وهذه المهارة هي كيفية وضع الأهداف وتحديد الرسالة والرؤية.
- **المهارة السادسة والأخيرة**: التعرف على المفاتيح، قال الوهب بن المنبه: أليس لا إلٰه إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم تفتح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

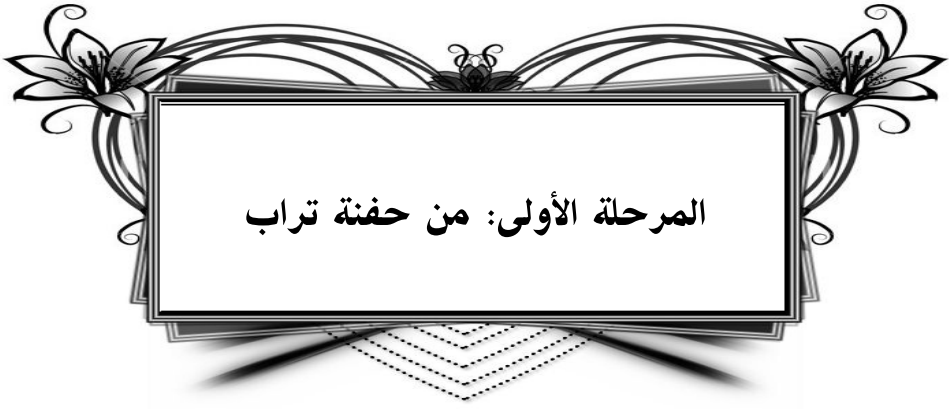

المرحلة الأولى: من حفنة تراب

والآن لنبدأ عرض مراحل تطوّر خلق سيّدنا آدم (أبي البشرية) عليه السلام فجاء بحسب الآيات والأحاديث:

قال تعالى في خلق آدم عليه السلام من تراب الأرض: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: ٥٥].

وشاء الحكيم أن يكون خلق آدم عليه السلام من تراب الأرض، ففي حديث رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالى خلق آدم من قبضة، قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وبين ذلك، والسهل والحزن والخبيث والطيّب، وبين ذلك**»(١).

ويعلل الحديث سر اختلاف الناس في ألوانهم، فهو بسبب اختلاف ألوان تراب الأرض، كما يعلل سر اختلاف الناس في نفسياتهم وطبائعهم ومشاعرهم، فهو بسبب اختلاف طبيعة الأرض(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم: ٢٠].

ومن ماء قال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

---

(١) رواه أبو داود، حديث رقم: ٥٦٩٣، والترمذي، برقم: ٢٩٥٥.

(٢) خبير الأجهزة: أميرة ستارتايمز المراقبة ورودستار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرحلة الثانية: خلقه من طين:

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١]، وهو الطين الرخو.

ثبت بالنص الصريح الجلي أن آدم عليه السلام قد خلقه الله ـ جلَّ جلاله وعظمت قدرته ـ من طين، أي من الماء والتراب، وهو أيضاً أصل خلق الحيوان في ما جاء بقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ [النور: ٤٥].

المرحلة الثالثة: هو الطين اللازب:

واللازب هو الثابت، الشديد الثبوت، المتماسك والشديد، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: ١١]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١].

وقد كان إبليس موجوداً في الجنّة، يرى مراحل خلق آدم عليه السّلام قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

المرحلة الرابعة: خلقه من صلصال من حمأ مسنون:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ... ﴿٢٨﴾﴾ [الحجر: ٢٨]، والصلصال هو الطين الجاف اليابس، لأنه مشتق من الصلصلة، وهو ما يُصدر الصوت الشديد. والطين اليابس صلصال لأنك إذا نقرته، أو ضربت عليه فإنه يُخرج صوتاً.

والحمأ هو: الطين الأسود المسنون، أي: المتغير، فالحمأ المسنون هو: الطين المنتن والأسود المتغيّر.

المرحلة الخامسة: مرحلة خلقه من صلصال كالفخار:

قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: ١٤].

والصلصال هنا هو: الطين اليابس، وسمّي صلصالاً لأنّه يخرج صوتاً.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه المراحل الخمسة كانت قبل مرحلة نفخ الروح، بقي آدم جسداً مصوّراً، وتمثالاً مجسّماً بدون روح ولا حياة، مدّة من الزمن لا يعلمها إلا الله، وبعد ذلك نفخ الله تعالى فيه الروح.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٨ ـ ٢٩].

المرحلة السادسة: آدم قبل نفخ الروح:

ولما كان آدم جسداً تمثالاً في الجنّة، كان إبليس ينظر إليه ويتعجّب.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**لما صوّره في الجنّة، تركه، ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطوف به، وينظر إليه، فلمّا رآه أجوف، عرف أنّه خلق لا يتمالك**»(١).

ومعنى لا يتمالك: لا يملك نفسه عند الغضب، أو عند الشهوة، أي: تضعف قواه عند الغضب أو عبد الشهوة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «**. . .وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق، في آخر ساعةٍ من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل**»(٢).

المرحلة السابعة: مرحلة خلق آدم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **خَلق الله آدم على صورته(٣)، وطوله ستون ذراعاً. ثمّ قال: اذهب، فسلّم على أولئك النفر ـ وهم نفرٌ من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيّتك وتحيّة ذريّتك.**

ذهب فقال: السلام عليكم.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٦١١، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: خلق الإنسان خلقاً لا يتمالك.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٨٩، كتاب: صفات المنافقين، باب: ابتداء الخلق، وخلق آدم عليه السلام.

(٣) على صورته: أي على صورة الإنسان التي نعرفها الآن، وليس قرداً أو غير ذلك.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله.

فكل من يدخل الجنّة على صورة آدم، فلم تزل الخلق تنقص حتى الآن»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لما خلق الله آدم، ونفخ فيه، عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم**»[(٢)].

وفي رواية أخرى: عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها**»[(٣)].

وأخبرنا رسول الله ﷺ أن أول ما خلق من الإنسان هو عجب الذنب، وهو آخر فقرات العمود الفقري، من أسفل الظهر، وهو المعروف باسم «العصعص»، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[(٤)].

وقال ﷺ: «**أولُ ما خَلَقَ اللَّهُ خَلَقَ القَلَمَ فقال له: اكتب، فقال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القَدَرَ، فَجَرى بما هو كائنٌ في ذلك اليوم إلى قيام الساعة**»[(٥)].

وقال رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم: ٣٣٢٦، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم عليه السلام وذريته، ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٨٤١.

(٢) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٣٦٨.

(٣) رواه أبي داود، حديث رقم: ١٠٤٦.

(٤) رواه سنن الترمذي، رقم (٤٥٨/٤)، حديث رقم: ٢١٥٦، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: صحيح الجامع (٢٠١٨).

(٦) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٦٩٠، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خلق الله الكون لحكمة عظيمة تظهر آثار أسمائه وآثار رحمته، وآثار قدرته، وآثار حكمته، وآثار جبروته، لذلك خلق الخلق ليرحمهم وليظهر علمه وحكمته وجبروته وقدرته، وهو عزَّ وجلَّ غني عن جميع مخلوقاته وهم جميعاً الفقراء إليه.

لم يشهد أي مخلوق، ولا أحد كيف خُلِقَ هذا الكون. لم يشهد أحد خلق السماوات والأرض ولا يستطيع أحد في هذا الكون أن يدّعي أنه شهد خلق السماوات أو الأرض أو ما بينهما قال تعالى: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ٥١﴾ [الكهف: ٥١][1]، لكي لا يكون هناك حجة لمن يتخذ نفسه إلٰهاً. فيعبده الناس، فالله سبحانه هو الخالق وهو الأول والآخر والظاهر والباطن... الأول ليس له بداية والآخر ليس له نهاية، وليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء... لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أو نِداً أو مثيلاً أو شبيهاً[2].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٢٩﴾ [الحجر: ٢٩]، الروح بها تكون حياة الإنسان وبخروجها يكون الموت، قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ... ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].

(١) الخالدي، صلاح عبدالفتاح، **سيرة آدم عليه الصلاة والسلام**، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٣م، ص٩.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٩٣٥، وانظر حديث رقم: ٤٨١٤، كتاب: سورة النبأ، باب: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾ [الأعلى: ١٨]، ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٩٥٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ ـ الأمانة

وقبل البدء بالحديث عن الأمانة نستعرض الآتي:

أي أن الله جلَّ جلاله كان ولم يكن معه شيء، فهو الأحد، المنفرد بالخلق وحده لا شريك له، ولما أراد الله الحكيم خلق هذا الوجود، لحكمة يريدها سبحانه، أوجده مُتْقَناً مُتناسقاً، ولم يخلقه لهواً ولا عَبثاً ولا لَعِباً، سبحانه.

ونبدأ حديثنا عن علم الله الأزلي، وهو الركن الأول من أركان الإيمان بالقدر حيث يقوم على أربعة أركان؛ ألا وهي:

(**الأول**: الإيمان بعلم الله الشامل المحيط.

الثاني: الإيمان بكتابة الله في اللوح المحفوظ لكل ما هو كائن إلى يوم القيامة.

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

الرابع: خلقه تبارك وتعالى لكل موجود، لا شريك لله في خلقه)[1].

(فعلم الله محيط بكل شيء، يعلم ما كان وما سيكون، وما لم يكن

(١) عمر الأشقر، القضاء والقدر، الأردن، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لو كان كيف يكون، ويعلم الموجود والمعدوم، والممكن والمستحيل، وهو عالم بالعباد وآجالهم وأرزاقهم وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ومن منهم من أهل الجنة، ومن منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ويخلق السماوات والأرض.

ودلّت الأصول القرآنية والنبوية أن تقدير أمور الخلائق تمّ في علم الله عزَّ وجلَّ قبل أن يخلقهم)[1].

(وقد قال ابن كثير: وهو تعالى العالم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، فيعلم الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إلٰه إلا هو، ولا ربّ سواه، ولا رادّ لما قدّره وأمضاه. وهذا مجمع عليه عند أهل السنَّة والجماعة)[2].

(فالله عزَّ وجلَّ عليم بما كان وبما هو كائن، وما سيكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون، ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، سبحانه أحاط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها)[3].

أي أن الله جلَّ جلاله كان ولم يكن معه شيء، فهو الأحد، المنفرد بالخلق وحده لا شريك له، ولمّا أراد الله الحكيم خلق هذا الوجود، لحكمة يريدها سبحانه، أوجده مُتْقَناً مُتناسقاً، ولم يخلقه لهواً ولا عَبثاً ولا لَعِباً، سبحانه.

مرّت على هذا الوجود فترةٌ زمنيّةٌ ليس فيها إلا الله تعالى، وحده لا شريك له، فخلق الماء، وخلق دُخاناً، وَخَلَقَ عَرْشَهُ على الماء[4]، ولا يراد

---

(١) عمر الأشقر، القضاء والقدر، ص٣٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، المجلد الثاني، ص١٤٢.

(٣) محمود عبدالرازق الرضواني، أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة، القاهرة، مكتبة سلسبيل، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٤٤١.

(٤) لا نسأل كيفية ذلك ولا مكان الماء ولا أين خلقه فكل ما نعرفه أن الماء مخلوق، وأن عرشه على الماء، وأن هذا كان قبل الإنسان وخلق السماوات والأرض.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بذلك الماء ماء المحيطات والبحار والأنهار، فهذا الماء ماء خاص، ووضع في مكان خاص، وجعل العرش عليه بكيفية خاصة لا يعرفها بشر.

وأيضاً قال رسول الله ﷺ: «**أولُ ما خلق الله تعالى القَلَم. فقال: اكتب. قال: ما أكتب؟ اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**»، وفي رواية الترمذي: «**قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة**»(١).

وقد روي عن رسول الله ﷺ قوله: «**كان الله ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض**»(٢).

وروى البخاري في حديث عن عمران بن حصين قال: قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ: «**جئناك لنتفقّه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر، فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض**»(٣)، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فَعَلِمَ الله عزَّ وجلَّ ما كان وما يكون، ولو كان كيف يكون ويعلم الموجود والمعدوم والممكن والمستحيل، ويعلم سرّكم وجهركم في

---

(١) رواه سنن الترمذي، رقم (٤/٤٥٨)، حديث رقم: ٢١٥٥، كتاب: القدر، باب: ما جاء في الرضا بالقضاء، حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٣١٩٠، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الرُّوم: ٢٧].

(٣) رواه البخاري، عن عمران بن حصين، حديث رقم: ٧١٤٨، كتاب: التوحيد، باب: «**وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأرض، غنيٌّ عن جميع الأشياء، قادر لا يعجزه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء[1].

المرحلة الأولى: مراحل خلق السماوات والأرض وآدم عليه السلام:

١ ـ روى مسلم في حديثه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: خلق الله عزَّ وجلَّ التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل)[2].

٢ ـ (وقد بينت نصوص القرآن وصحيح السنَّة أن الله عزَّ وجلَّ خلق الأرض والسماء بعد العرش والماء، وأنه خلقهما على مرحلتين كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠]، هاتان المرحلتان تحققان حكمة الله في ابتلاء الإنسان وقيام الخلائق على الحق والميزان، المرحلة الأولى كانت في وضع الرتق والدخان، والمرحلة الثانية بعد خلق آدم عليه السلام، وكل ذلك تمّ في عدّة حُقب زمنيّة الله أعلم بمقدارها)[3].

٣ ـ عرض الأمانة على السماوات والأرض وعلى آدم عليه السلام: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

صح عن ابن عباس في تفسيره آية الأمانة أنه قال: يعني بالأمانة

---

(١) القرطبي، عبدالله بن محمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، الجزء السادس، ص٣٩٠ بتصرف.

(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٦٦٩٠، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى.

(٣) القرطبي، عبدالله بن محمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الجزء السادس، ص٣٩٠ بتصرف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الطاعة عرضها عليهم قبل أن يعرضها على آدم فلم يطقنها فقال لآدم: إني عرضت الأمانة على السماوات والأرض والجبال فلم يطقنها، فهل أنت آخذ بما فيها، قال يا رب: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جزيت، وإن أسأت عوقبت، فأخذها آدم فتحملها)[1].

(قال ابن الجوزي: قول الأكثرين في المراد بعرض الأمانة على السماوات والأرض أن الله تعالى ركّب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، ولم يُرِدْ بقوله أَبَيْنَ المخالفة ولكن أبين للخشية والمخافة لأن العرض كان تخييراً وقد أوضح الدكتور عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني في كتابه معارج التفكّر والتدبر في شرح هذه الآية قائلاً:

ما هي الأمانة التي عرضها الربّ جلّ جلاله؟

لا بدّ للإجابة على هذا السؤال من تحليل للصفات التي تتّصف بها هذه الكائنات، ولعناصر الأمانة، لإدراك الأمور التي جعلت الجبال والسماوات تأبى حملها، والتي جعلت الإنسان يقبل حملها، ويستعد لتحمل التكليف المرافق لحملها، وتبعة الحساب، وفصل القضاء، وتنفيذ الجزاء بعد ذلك.

إن العرض يستلزم عقلاً إدراك المعروض عليه حقيقة معنى ما يعرض عليه، أي فهمه، والعلم به، إذا كان أمر العرض أمراً حقيقياً، لا مجازياً.

أي أن الله على كل شيء قدير، فحين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وعلى آدم عليه السلام وفيه ذريّته، أدركوا ما عرض عليهم من حمل الأمانة فقد أدركوا ما عرض عليهم وفهموه، حتى يأبى حمل الأمانة من أباه، ويقبل حملها من قبله.

ويمكن أن نصوّر هذا العرض والحوار الذي جرى حوله تخيلاً

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

واستنباطاً من وجيز البيان القرآني. لا إلزاماً، وأشفقن بمعنى خفن منها ألا يؤدّينها فيلحقهن العقاب)[1].

قد (يتساءل المتسائل عن الأمانة التي عرضها الله عزَّ وجلَّ على السماوات والأرض والجبال والإنسان، فأبَتِ السماوات والأرض والجبال أنْ تحملها، وأشفَقْنَ ـ أي: خِفْنَ وَحَذِرْنَ ـ من مسؤوليّة حملها، ومن التكليف الذي يرافقها، ومن الحساب والجزاء اللَّذَيْن يَتْبَعانِ ذلك، وحَمَلها الإنسان، واستعدّ أن يتحمّل التَّبعَة من حساب وَجزاء؟

حين عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال وعلى الإنسان الأوّل وفيه ذرّيَتُه، أو على الإنسان الأشمل لكلّ أفراد النوع وهم من الذّرّ)[2].

العرض: أتريدين أيَّتُها السماوات والأرض والجبال أن تَحمِلي الأمانة؟

أتُريد أيُّها الإنسان أن تَحمِل الأمانة؟

المعروض عليهم: ما هي الأمانة التي نَحْمِلُها؟

العرض: نَجعل لَكُم إرادةً حُرّةً، وسُلطةً على بعض ما يوضع في ذواتكم من قوى وطاقات وأشياء أمانة عندكم، على سبيل الإعارة للانتفاع أو الوديعة، ويؤذن لكم بالتصرّف فيها بإرادات حرّة لكم، والتصرّف فيما حولكم من الكون، ممّا تَصِلُ قدراتكم إليه أو إلى مفاتيحه.

المعروض عليهم: هذا تصرّف من صفات الخالق المالك وكيف نتصرّف وليس لدينا رغبات ولا شهوات، ولا حاجات، ولا أهواء، ولا نستطيع أن تكون لنا صفات الربّ الحكيم؟!

---

(١) زاد المسير ٦/٤٢٩.

(٢) تصور هذا العرض والحوار الذي جرى حوله تخيلاً، واستنباطاً من وجيز البيان، حتى يعلم القارئ أن الحوار تخيلي لتقريب مفهوم الأمانة الذي جاء به في الآية، حبنكة الميداني، **روائع من أقوال الرسول** ﷺ، ص٣٣٧.

العرض: تُخْلَقُ فيكم رغباتٌ وشهواتٌ، وحاجات وأهواء، ولذّات.

المعروض عليهم: وهلْ يباح لنا أن نتصرّف بإرادتنا الحرّة، وفق رغباتنا وشهواتنا وحاجاتنا وأهوائنا دون مسؤولية؟

العرض: يُعطى لكُمُ التمكينُ من التصرّف، لكن لا على سبيل إباحة كلّ شيء.

المعروض عليهم: كيف نتصرّف إذّنْ؟

العرض: يُوَجّه لكُمُ التكليف لِفِعْلِ أشياء وترك أشياء على خلاف رغباتكم وشهواتكم وأهوائكم، ويباح لكم أشياء لتلبية مطالب حاجاتكم وشهواتكم.

المعروض عليهم: فإذا عصينا التكليف وخالَفْنا الأوامر والنواهي؟

العرض: أنتم إذن ملاحقون بالمحاسبة والجزاء على اختياراتكم!

المعروض عليهم: هذا تكريم وتشريفٌ، مقرونٌ بتكليف ومسؤوليّة، وبعْدَهُ حسابٌ وجزاءٌ، ولكن هل يبقى في ذاكرتنا هذا العرض وهذا الحوار؟

العرض: يُطوى من ذاكرتكم هذا العرض وهذا الحوار، وتُطوى من ذاكرتكم هذه المعرفة، المعرفة الحاضرة بخالقكم، ويبقى فيكم ما يشدُّكم إلى معرفته والإيمان به إيماناً غيبيًّا، وإلى معرفة الغاية من وجود الأمانة الكبرى تحت سلطتكم، وتُرسَلُ إليكم الرُّسل، وتُنَزَّلُ إليكم الكتب، لتعرّفكم بيانَ المطلوب منكم، وإنذاركم وتحذيركم، وتبشير من آمَنَ وأطاع منكم، ويخبرونكم بما جرى في هذا العرض.

المعروض عليهم: وما هو نوع الجزاء؟

العرض: عذاب أليم أبدّي بالحريق، على الكفر بالخلق والإشراك به وجحود ربوبيّته أو ألوهيته، وعذاب دون ذلك بالعدل بحسب المعاصي

والإساءات. ونعيم أبديّ في جنّات نعيم خالدة، على الإيمان بالخالق إيماناً غيبيًّا، والإسلام له (التسليم له والتوكل عليه)، ودرجات من النعيم بعضها فوق بعض، بقدر ما يقدّم كل من صالح الأعمال، مع احتمال غفران وعفو عن السيئات دون الشرك بحسب مشيئة بارئكم.

السماوات والأرض والجبال: هذه مُخاطرة مخيفة نأبى قبولها، وما دامَ الأمرُ عرضاً، لا جبر فيه، فنحن لذلك نأبى حَمْل هذه الأمانة.

الإنسان: قَبِلْتُ هذا العرض، فأنا أحمل هذه الأمانة الكبرى، وأتحمَّلُ تَبِعَتَها، وتَحْلو عندي هذه المخاطرة، ويشدُّني إليها الطَّمَع بِمقام التكريم، وببلوغ المجد العظيم.

العرض: خُذْ الأمانة أيُّها الإنسان، وستَدْخُل رحلة الامتحان في الوقت المقدّر لدخولك عبر الحياة الدنيا، منذُ بلوغك سنّ التكليف حتى وفاتك، ثُمَّ تكون لك حياة أخرى لمحاسبتك ومجازاتك.

(ولما رضي الإنسان أن يكون أميناً وفق مراد الله الشرعي، ومسؤولاً عن فعله لو خالف أمر الله، رفعه الله على كثير ممّن سواه وفضّله وميّزه وكرّمه، ثمّ استخلفه في أرضه، واستأمنه فيها على ملكه، وسخّر له كل الخلائق من حوله، وجعله مخلوقاً عاقلاً مكلّفاً لا يفعل شيئاً فيما استرعاه الله إلا بالعودة إلى أمر الله من خلال الرسالة التي نزلت من السماء وحملّها جميع الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ ـ ٣٤][1].

---

(١) الرضواني، محمود، **منّة القدير**، مكتبة سلسبيل، القاهرة، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٥٦٨/٢ ـ ٥٧٥ بتصرف.

وفي المرحلة الثانية:

وبعد أن خير الله عزَّ وجلَّ السماوات والأرض في قبول الأمانة أو رفضها، وبعد ممارسة حقهن في الاختيار ورفضهن لها، كان من كمال عدل الله عزَّ وجلَّ أن خيرهن مرة أخرى لكن التخيير هذه المرة لإظهار الرضا منهن في الطاعة لأمره واستجابة لحكمه، إذ كلفهنّ بعمل ما أو سخرهنّ لوظيفة ما وحتى وإن كانت لصالح الإنسان الذي قبل الأمانة، فاخترن جميعاً الطاعة والخضوع لله عزَّ وجلَّ، يكلفهنّ بما شاء وسوف يلتزم بأحكام القضاء تمام الالتزام فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت: ١١]، وهذه هي المرحلة الأولى في خلق السماوات والأرض.

والمرحلة الثانية: حينما حمل آدم عليه السلام الأمانة جهز الله عزَّ وجلَّ لهذا الإنسان السماوات والأرض التي سخّرها لخدمة هذا الإنسان قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩ ـ ١٢].

وبناها سبعاً طباقاً، رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها فجعل فيها الشمس والقمر تحديداً لنوعية الزمن الجديد الذي سيتعاقب على الإنسان والذي عبر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦]، ثمّ ثنى

بالأرض فبسطها ودحاها ومدّها، وأخرج ما كان مودعاً فيها من أقوات وخيرات كما قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٢]، وكل ذلك لتستقر الأرض للإنسان متاعاً له على وجه الابتلاء والامتحان[١].

٣ ـ الفطرة:

كيف سيكون موقف بني آدم من إبليس، وهل سيُغويهم وينتصر عليهم بالرغم من أنّ الله ميّزهم بالعقل وعلّمهم الأسماء كلّها، وبالرغم من أخذه الميثاق عليهم، وبالرغم من تسليح الله لهم بالفطرة التي جعلها فيهم؟ وما هو الميثاق الذي أشهدهم عليه وأقرّوا هم بمضمونه؟

عندما خلق الله عزَّ وجلَّ آدم عليه السلام، جمع بني آدم (ذريته الكائنة من بعده)، وعرّفهم بنفسه، وأنه وحده لا شريك له، ولا إلٰه غيره. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢].

روى الإمام أحمد أثراً عن أُبَيِّ بن كعب، في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ... ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: «جمعهم فجعلهم أرواحاً، ثم صوّرهم، فاستنطقهم فتكلّموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاق، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم؟ قال: فإني أُشْهِدُ عليكم السماوات السّبع والأرض السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، **اعلموا أنه لا إلٰه غيري، ولا ربَّ لكم غيري، فلا تشركوا بي شيئاً، وإني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأُنْزِلُ عليكم كتبي، قالوا: شهدنا بك ربنا وإلٰهنا، لا ربّ لنا غيرك، فأقرّوا بذلك**»[٢].

---

(١) محمود عبدالرازق الرضواني، الإنسان وبداية الكون، القاهرة، مكتبة سلسبيل، طبعة أولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٥٦ ـ ٥٧.

(٢) مسند الإمام أحمد، كتاب مسند الأنصار، رقم الحديث: ٢٠٢٨٣.

هذا الميثاق هو أساس فطرة التوحيد في كل إنسان، فالفطرة التي فطر الله الخلائق عليها اقتضت أن تلجأ النفوس إلى قوّة عليا عند ضعفها، وتطلب غنيّاً عند فقرها، وتوّاباً رحيماً عند ذنبها، وسميعاً قريباً بصيراً مجيباً عند سؤالها، وكلُّ ذلك يدعو النفس إلى التوحيد والإسلام، والعودة بالضرورة إلى الملك القدوس السلام[1].

ومثل هذا الإحساس الفطريّ كامن في النفس وإن لم يعلنه الشخص، فإن خلا القلب من موانع الطبع المألوفة، ومن التأثّر بالاعتقادات الشركية فإن قلبه يتوجّه تلقائياً إلى ربّه بالعبودية قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرّانه، أو يمجّسانه، كما تنتج بهيمة**[2] **جمعاء**[3]**، هل تحسّون فيها من جدعاء**»[4]، ثمّ يقول: ﴿...فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم: ٣٠] **هذه هي فطرة الإيمان**».

٤ ـ مِمَ يتكون الإنسان؟

يتكوّن الإنسان من الأقسام والأجزاء التالية:

١ ـ **الجسد**: هو ما خلقه الله عزَّ وجلَّ من تراب وماء فكان طيناً وبعدها صار طيناً لازباً ثمّ تُرك ليجف في الهواء، فكان صَلصالاً، ثمّ صلصالاً من حَمَإٍ مَسْنون، ثمّ صلصالاً من فخّار.

---

(١) الرضواني، **منة القدير**، مكتبة سلسبيل، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص٥٦٨ بتصرف.

(٢) بهيمة: أي الناقة إذا ولدت.

(٣) جمعاء: أي بهيمة سليمة من العيوب، مجتمعة الأعضاء كاملتها فلا جدع ولا كي.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم: ١٣٥٨، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمت، فهل يصلى عليه. ورواه مسلم، حديث رقم: ٢٦٥٨.

٢ ـ **الروح**: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: ٢٩]، الروح بها تكون حياة الإنسان وبخروجها يكون الموت، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

٣ ـ **الحواس**: هي مناقذ للإنسان يتعرّف بواسطتها إلى ما يحيط به من حاجات وأشياء ومخلوقات، ففي داخل الإنسان قوة إدراكية كبيرة ولكن إدراكها لا ينبع من داخلها وإنما يأتيها من العالم الخارجي عنها. ولهذه القوة الإدراكية في الإنسان منافذ تطل منها على العالم الخارجي ألا وهي (الحواس الخمس): حاسة البصر ـ وحاسة السمع ـ وحاسة الشم ـ وحاسة الذوق ـ وحاسة اللمس. كما لها صلات أخرى تطل منها على عالم النفس.

٤ ـ **العقل**: هو ذاك الفكر والإحساس الذي يجعل الإنسان العاقل يحبس نفسه ويردّها عن هواها. والتّعقّل ضدّ الحماقة وسمّي **العقل عقلاً، لأنه يعقل (يحجز ويمنع) صاحبه عن التورّط في المهالك، أي يحبسه، والعقل في اللغة: هو الحِجْر والنهي وهو ضِدُّ الحمق والجهل.**

أما العقل في القرآن: فقد قال الله تعالى فيه: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

٥ ـ **القلب**: من الجانب المحسوس: فهو الآلة الخارقة، التي لا تعرف التعب، إنها عضلة من أعقد العضلات بناءً وعملاً، وأداء. وسنتحدث عن القلب بالتفصيل الممتع في المحور الثاني من الدورة.

المحور الثاني: التعرف على النفس

١ ـ القلب.

٢ ـ العقل.

٣ ـ النفس وصفاتها.

٤ ـ قيادة النفس وإدارتها.

أ ـ القلب: أمّا القلب من الجانب المحسوس[١]: فهو الآلة الخارقة، التي لا تعرف التعب، إنّها عضلة من أعقد العضلات بناءً، وعملاً، وأداءً، وهي من أمتنها وأقواها، تنقبض وتنبسط ثمانين مرة في الدقيقة، إنه مضخة مزدوجة تضخ الدم الذي يحمل الغذاء والوقود إلى كل خلية، ونسيج، وعضو، وجهاز عن طريق شبكة من الأوعية، يزيد طولها على مئةٍ وخمسين كيلو متراً. يضخّ القلب ثمانية آلاف لترٍ في اليوم الواحد، أي ما يعادل ثمانية أمتار مكعبةٍ من الدّم، ويبدأ عمل القلب منذ الشهر الثاني من حياة الجنين ويستمر دون توقف حتى الموت.

وينفرد القلب في استقلاله عن الجهاز العصبيّ، فتأتمر ضرباته، وتنتظم بإشارة كهربائية من مركز توليد ذاتيّ.

وقلب المرأة أصغر من قلب الرجل، لكن نبضها أسرع من نبضه.

---

(١) الرضواني، محمود عبدالرازق، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٢٤ ـ ١٢٨ بتصرف.

ب ـ أما القلب من جانبه الغيبيّ: فهو الذي تتحقَّق فيه أحد مقوّمات الاختيار في الإنسان، فكما وصفنا سابقاً الحكمة من خلق الإنسان للامتحان والابتلاء وأنّه عزَّ وجلَّ: «خلق فيه مقوّمات للعيش على الأرض لإعمار الكون ومنها أن جعل لهم إرادة حرة، وسلطة على بعض ما وضع في ذواتنا من قوى وطاقات وأشياء، أمانة على سبيل الإعارة، وأَذِنَ لنا بالتصرّف فيها بإرادات حرة)[1].

فمن مظاهر الحكمة الإلٰهية، ومقوّمات الحرية والمسؤوليّة، **أن الإنسان له حرية الاختيار، وبناءً عليه فإن القلب له في جسم الإنسان المكان الأول،** وهو المعوّل عليه في جميع الأمور، فهو القائد، والجوارح هي الجنود له والخدم، وهو الآمر الناهي، والأعضاء هم أتباع له وحشم، **والقلب هو الجانب المدرك من الإنسان،** وهو المخاطب والمطالب، والمعاتب، وهو محل العلم، والتقوى، والإخلاص، والذكر، والحب، والبغض، والخطرات، وهو موضع الإيمان والكفر، والإنابة، والإصرار، والطمأنينة والاضطراب.

ثم يأتي معنى القلب في القرآن الكريم بحسب قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، وفي حديث رسول الله ﷺ: «**ألا وإنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسم كله، ألا وهي القلب**»[2].

أمّا الجانب الغيبيّ من القلب فهو تابع للروح، وهو أساس كل فعل إراديّ في جسم الإنسان، وينقسم الجانب الغيبي إلى منطقتين[3].

١ ـ مركز الخواطر وحديث النفس.

٢ ـ منطقة الكسب وأعمال القلوب والحكمة في خلق مقوّمات الاختيار في الإنسان.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٩٦٨.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٢، ٢٨/١.

(٣) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٢٧.

أولاً: مركز الخواطر وحديث النفس: «منطقة حديث النفس مصدر الخواطر والأفكار في القلب».

وينقسم إلى ركنين:

الركن الأول: نازعان، وهما: نازع الخير والتقوى، ونازع الشّر والفجور.

والركن الثاني: هاتفان، وهما: لمّة القرين (قرين الشيطان)، ولمّة الملك (قرين الملك).

حديث النفس: هذه المنطقة مصدر الخواطر والأفكار، ومحل الإلهام في الإنسان، وهذه المنطقة لا حساب لها على ما يدور فيها من خواطر أياً كانت، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها ما لم يتكلموا به أو يعلموا به**»[1].

الدليل على أن منطقة حديث النفس في القلب؟

١ ـ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧ ـ ٨].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ۝١٦﴾ [ق: ١٦].

ولا يوجد مصدر للعلم بالغيب إلا ما ورد من الخبر الصادق عن الله ورسوله ﷺ فنصدق الخبر تصديقاً جازماً على وجه اليقين، ونؤمن به كحقائق بينها الخالق ربّ العالمين. أما الدليل على أن الخواطر تدب في القلب وأن منطقة حديث النفس كائنة في قلب كل إنسان، فقد ورد في الحديث القدسي الذي رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن

---

(١) رواه البخاري، كتاب الطلارق، باب: الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون ٢٠٢/٥ (٤٩٦٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر ١١٦/١ (١٢٧).

النبي ﷺ قال عن الله تعالى: «**أعدّدت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[١].

وروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا نودي بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط، فإذا قضي أقبل، فإذا ثوبَ بها أدبَر، فإذا قضى أقبل حتى يخطر بين الإنسان وقلبه، فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً؟ فإذا لم يدر ثلاثاً صلى أو أربعاً، سجد سجدتي السهو**»[٢].

والأحاديث واضحة الدلالة في كون الخواطر، تَرِدُ على القلب في كل أفراد النوع الإنساني، وأن القلب هو محل تواردَ الخواطر التي تتراءى لكل إنسان[٣].

الركن الأول: (في منطقة حديث النفس النازعان: دلت نصوص الوحي أن الله عزَّ وجلَّ ابتلى العباد بإيجاد الخواطر في القلب، وأن مصدر تلك الخواطر يتكون من ركنين اثنين، هما النازعان والهاتفان، والأول منهما يتكون من باعثين اثنين يسهمان في تشكيل مجموع الخواطر والأفكار، والهاتفان يهتفان بالخواطر في لمتين اثنتين بنوعين من الدواعي، أحدهما يدعو ويحض على فعل الخير، والآخر يدعو ويحض على فعل الشر)[٤].

النازعان: في الركن الأول في منطقة حديث النفس، وهما غريزتان متقابلتان، ونازعان متضادان، ليس لأحدهما غلبة على الآخر من حيث صلاحية العمل في بعث الخواطر في قلب الإنسان.

---

(١) البخاري في بدء الخق، باب: ما جاء في صفة الجنّة وأنها مخلوقة (٣٠٧٢).
(٢) رواه البخاري في بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده (٣١١١).
(٣) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣١.
(٤) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣١.

وأياً كان المصطلحات التي أطلقت على النازعين؛ فإنها جميعاً تشير إلى وجود غريزتين متقابلتين؛ ونازعين نفسيين متضادين؛ مغروزين في قلب كل إنسان على وجه الابتلاء وتحقيق الحكمة في خلق الاختيار للإنسان[1].

الدليل على النازعين ما ورد في وصف النفس في القرآن: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧].

قال ابن الجوزي: (الإلهام إيقاع الشيء في النفس)؛ قال سعيد بن جبير: (ألزمها فجورها وتقواها).

(١) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٨.

قال برهان الدين البقاعي: الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة، وقد تكون إلهاماً، والإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة، وتارة يكون بواسطة ملك، ويكون كل منهما في القلب، والوسوسة تارة من الشيطان، وأخرى من الهوى، وكلاهما يكون في الصدر[1].

وقال ابن القيم: (هيأ الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية ثم قال: (أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى)، وإن ذلك نالها منه امتحاناً واختباراً، ثم خصّ بالفلاح من زكاها، فنماها وعلاّها، ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله، وأنبياءه وأولياءه، وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دساها، فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور)[2].

ويذكر أبو القاسم القشيري أن الخواطر خطاب يرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيل له الهواجس، وإذا كان من الشيطان فهو: الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب فهو خاطر حق، وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسي، فإذا كان من قبل الملك، فإنه يعلم صدقة بموافقة العلم والشريعة، وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي، وإذا كان من قبل النفس فأكثره يدعو إلى اتباع شهوة، أو استشعار كبر، أو ما هو من خصائص النفس وأوصفها[3].

أما معنى أوزعني: ففي قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

---

(١) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٨.

(٢) ابن القيم، مدارج السالكين، المجلد الثاني، ص٣٨١.

(٣) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٣٩.

ومعنى أوزعني ألهمني، يقال: أوزعته بالشيء أغريته به فأوزع به فهو موزع به، فأوزعني أي استلهمته فألهمني[1].

وأغلب المفسرين على أن الله ابتلى الإنسان بإيجاد نازعين في النفس أحدهما للفجور والآخر للتقوى.

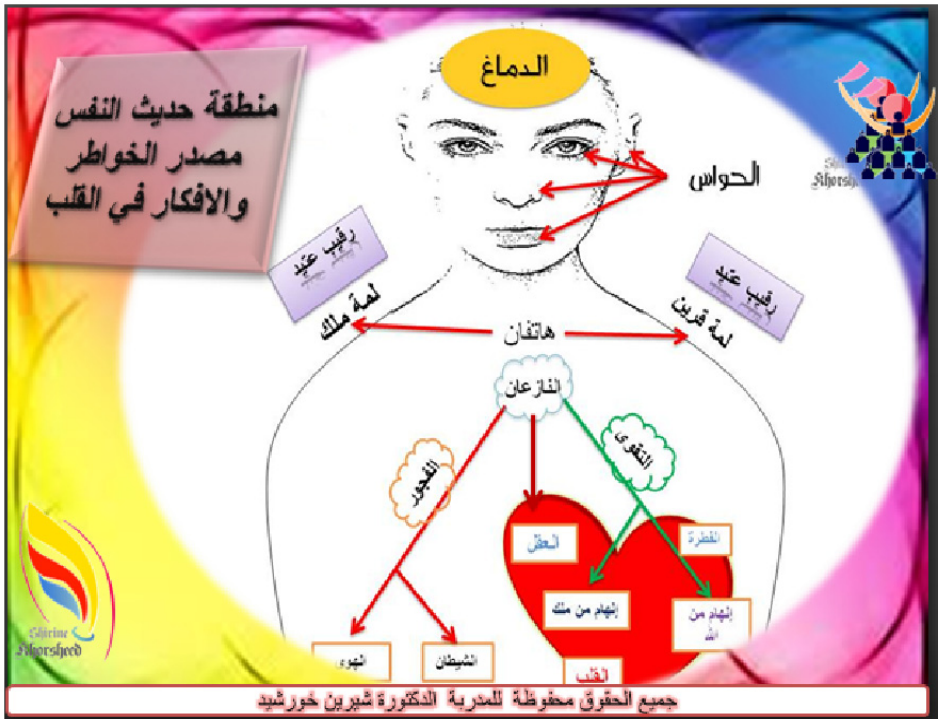

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٨/٣٩٠.

(والنازعان كائنان في القلب في منطقة حديث النفس، نازع الخير يلهمه الله عزَّ وجلَّ خواطر الخير التي تدعوه إلى الآخرة وتحضه على تقوى الله، ونازع الشر يلهمه الهوى خواطر الشر ويحضه على الرغبة في المشتهيات حتى تُعبد من دون الله، والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها بهذه المنطقة. نازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات في الإنسان وغايته وبغيته متاع الحياة الدنيا، فالهوى يدفع النفس ونازع الشر فيها إلى التعلق بالحياة الدنيا ومشتهياتها حتى يعبد الإنسان هواه، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣]. وقال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠][1].

(١) الرضواني، منة القدير، ص١٤٢.

والقلب[1] كما يتضمن منطقة حديث النفس، يحتوي أيضاً على غريزة العقل كوسيلة للمعرفة والتمييز، ويحتوي على منطقة الكسب التي تمثل منبع الاختيارات والإرادات والقصود والنيّات وجميع أعمال القلوب التي يحاسب عليها الإنسان، قال تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٢٥].

وقد وصف الله عزَّ وجلَّ القلب[2] بأنه يمرض ويقسو بالنفاق، وأنه يصح بالصدق والإخلاص والتوحيد، وقد يغدو القلب كالبيت المقفل، فهو لا ينفتح لواردات الخير والهداية إلا بمفاتيح خاصة.

وقد يشتد الأمر حتى تختم الأقفال ويطبع عليها، وقد تعمى البصيرة عماءً تاماً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠].

﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج: ٥٣ ـ ٥٤].

وقد يصل إلى القلب وينفذ إلى داخل منطقة حديث النفس، ما يكون شديداً من انفعالات النفس وعواطفها وأخلاقها، فيكون كسب الإنسان وفق إرادته التي هي أساس الاختيار وسيدة أعمال القلب، فيتحرك البدن تبعاً لهذا الاختيار ونتيجة لهذه الانفعالات.

---

(١) الرضواني، محمود عبدالرازق، منة القدير، المجلد الثاني، ص٢٩٠، بتصرف.

(٢) الميداني، عبدالرحمٰن حسن حبنكة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ص٢٧٣ ـ ٢٧٩، بتصرف.

أما الجانب الثاني الغيبي الذي ينقسم فيه القلب هو منطقة الهاتفين:

الهاتفان: وتلك الأركان جعلها الله عزَّ وجلَّ من مقومات الاختيار والحرية؛ والركن الثاني لنشأة الخواطر في منطقة حديث النفس؛ ويتمثل في الهاتفين. هذان الهاتفان القرينان متقابلان ومتضادان؛ ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان؛ الأول منهما يسمى الملك أو هاتف الخير؛ أو داعي التقوى والثاني يسمى العدو؛ أو هاتف الشر أو وسواس الشيطان هذان الهاتفان عاملان خارجيان وقرينان ملازمان للإنسان؛ يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها بمنطقة حديث النفس في الإنسان، العلة في الأذن للشيطان بأن يوسوس بالعصيان للإنسان.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٧٩ ـ ٨٥].

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٨].

﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠].

وقد جعل الله كيد الشيطان الأكبر محصوراً في الوسواس للإنسان وليس له سلطان أو جبر على إرادته ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٣].

وكّل الله بالإنسان ملك قرين في مقابل الشيطان. روى الإمام مسلم في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة**»، قالوا: وإياك يا رسول الله؛ قال: «**وإياي ولكن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بحق**»(١).

وروى الترمذي أيضاً وحسنه من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن للشيطان لمة ببني آدم؛ وللملك لمة؛ فأما لمّة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق؛ وأما لمّة الملك فإيعادْ بالخير وتصديق بالحق؛ فمن وجد ذلك فليعلم إنه من الله فليحمد الله؛ ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان الرجيم؛ ثم قرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾** [البقرة: ٢٦٨]»(٢).

أما لمّة ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك؛ فإن الملك والشيطان يتعاقبان على القلب تعاقب الليل والنهار فإن إلمام الملك من الله (يعني ما يحبه الله ويرضاه) فليحمد الله على ذلك، ومن وجد لمّة الشيطان فليتعوذ بالله من الشيطان.

(١) رواه مسلم، في كتاب صفة القيامة والجنّة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرين، ٢٨١٤.

(٢) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب: سورة القرآن، ٢١٩/٥ (٢٩٨٨).

إذا وصلت إلى القلب تسبب له الأمراض: لذا ضرب الله لنا مثلاً: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً صِرَاطاً مُسْتَقِيماً وَعَلَى جَنْبَتَي الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعاً وَلاَ تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئاً مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لاَ تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجُهُ والصِّرَاطُ الإِسْلاَمُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»[1].

المقصود بالقرنين الذين ورد ذكرهما في سورة ق: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩ ـ ٢٢].

كل قرين يتكلم يوم القيامة بما دار بينه وبين الإنسان.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾﴾ [ق: ٢٣ ـ ٢٦].

---

(١) رواه أحمد في المسند ٨٢/٤ (١٧٦٧١).

فقال تعالى عن الملك الذي اقترن بأحد الكفار ورافقه طول الحياة؛ طالما حثه على الخير ودعاه.

معنى السائق والشهيد: أي ملك يسوقه إلى المحشر والشهيد يشهد عليه بأعماله.

أما موقف الشيطان الذي اقترن للإنسان بالوسواس بالعصيان فيقول متملصاً من أفعال الكافر العنيد ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾ [ق: ٢٧].

ينفي الشيطان عن نفسه المشاركة في الطغيان، وينسب الضلالة والعصيان إلى الإنسان(١).

وبعد أن تعرفنا إلى مقومات الاختيار في الإنسان، وعلمنا إن حديث النفس كائنه في القلب، وأن الله عزَّ وجلَّ جعل للخواطر في القلب ركنين نفسيين، ونازعين ذاتيين، متقابلين ومتضادين، أحدهما يدعو للتقوى والإيمان، والآخر يدعو إلى الفجور والعصيان.

وجعل الله عزَّ وجلَّ ركنين خارجيين، من خلال وجود هاتفين قرينيين متقابلين ومتضادين، ليس لأحدهما جبر أو غلبة على إرادة الإنسان، الأول يسمى الملك أو هاتف الخير وداعي الإيمان، والثاني يسمى هاتف الشر أو الشيطان، والهاتفان والنازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها.

كما أنه من كمال عدل الله عز وجل أنه أوجد في منطقة حديث النفس العقل يمثل صمام الأمان، يضبط الأفكار والخواطر في قلب الإنسان، ويميز به بين ما ينفع وما يضر، ويقيس من خلاله معاني الخير والشر(٢).

ومن أدلة الاختيار ومقوماته في الإنسان منطقة الكسب التي تحوي مشيئاته واختياراته وجميع أعمال القلوب وهي مصدر أصيل للنيات والإرادات

---

(١) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص١٧١ ـ ١٧٥.

(٢) الرضواني، منة القدير، المجلد الثاني، ص٢٨٦.

والباعث السببي للحركات والسكنات في الإنسان وعليها تقع المساءلة عن إرادته للكفر أو الإيمان، وكل ما يكتسبه الإنسان في الدنيا والآخرة.

والأدلة على كسب الإنسان كثيرة في القرآن والسنّة:

١ ـ قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [فصلت: ١٧].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

والدلائل تشهد بأن المسؤولية تقع على عاتق الإنسان في الدنيا والآخرة بسبب كسبه وسعيه، واختياره وفعله، وأنه لا يصح من جهة النقل والعقل الاحتجاج بالجبر على نفي الاختيار والكسب، بل إن الفطرة شاهدة على أن الإنسان حريص كل الحرص على دفع الأذى والمضرة التي تقع من كسب الآخرين عليه وسعيهم، وحريص أيضاً على إلقاء المسؤولية على عواتقهم بأدنى فعل.

وأما الأدلة على أن الإنسان يحاسب على كسبه وسعيه في الآخرة:

١ ـ قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ٢٥].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: ١٦١].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

قال ابن القيم: (الأحكام في الدنيا والآخرة مرتبة على ما كسبه

القلب، وعقد عليه، وأراده من معنى كلامه)[1].

وهذا الكسب الذي يوجد في القلب بما يحويه من مشيئات وإرادات وقصود واختيارات من أعجب الدلالات على كمال حكمة الله عزَّ وجلَّ وقدرته وقيام حجه على عباده.

وأن العبد غير مؤاخذ بأعمال القلب ما لم يتحدث أو يعمل به للحديث السابق ذكره: «**إنّ الله تجاوز لأمتي ما حدّثت به أنفسها، ما لم يتكلّموا أو يعملوا به**»[2].

ويفرّق ابن مفلح المقدسي بين الكسب في القلب الذي يؤاخذ عليه وحديث النفس الذي لا يؤاخذ عليه فيقول: (وللقلب أفعال سوى حديث النفس بالفعل لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ قال: وقد يؤاخذ الإنسان بشيء من أفعال القلب نحو إرادة العزم والرضا بالفعل، والسخط به، والاختيار له، والنيّة عليه، ومثل الحسد، والطمع، وتعليق القلب بما دون الله عزَّ وجلَّ والنفاق والرياء والإعجاب، وأما ما لا يؤاخذ به فهو الخواطر الواردة عليه مما لا يدخل تحت قدرته)[3].

وبعد اتخاذ قرار القلب. الملائكة (رقيب عتيد) تكتب تلك المواقف والأعمال، محدّدة بالزمان، والمكان، بعد اتخاذ النّيّة، والتي هي أساس العمل فالحساب عند الله على النيّة.

وأعمال القول في منطقة الكسب تخضع للأحكام التكليفية، على اختلاف أنواعها، فأحكام التكليف الخمسة، الواجب، المستحب، المباح، المكروه، المحرّم، هذه الأحكام تتعلّق بأعمال القلوب جميعاً.

أما الاستدلال على أن الملائكة اسمهم رقيب عتيد ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ

---

(١) الرضواني، منة القدير، ج٢، ٣٤٣ ـ ٣٤٥ بتصرف.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب: تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر (١٢٧).

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي ١/١٣٠.

ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلّم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلّم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بلاءً يهوى بها في جهنم**»(١).

صاحب اليمين يكتب الحسنات والآخر يكتب السيئات:

في معجم الطبراني الكبير بإسناد حسن عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها، وإلا كتبت واحدة**»(٢).

فأين هي حجتنا يوم القيامة، بعد هذا العرض الدقيق لما أنعم الله علينا من نِعمَ الاختيار والكسب، فيا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: حفظ اللسان، حديث رقم: ٦٤٧٨.
(٢) صحيح الجامع ٢/٢١٢.

صفات القلب

وقد وصف الله عزَّ وجلَّ القلب[1] بأنه يمرض ويقسو بالنفاق، وأنه يصحّ بالصدق والإخلاص والتوحيد، وقد يغدو القلب كالبيت المقفل، فهو لا ينفتح لواردات الخير والهداية إلا بمفاتيح خاصة.

وقد يشتدّ الأمر حتى تختم الأقفال ويطبع عليها، وقد تعمى البصيرة عماءً تاماً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥].

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: ١٠].

﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾ [الحج: ٥٣ ـ ٥٤].

وقد يصل إلى القلب وينفذ إلى داخل منطقة حديث النفس، ما يكون

---

(١) الميداني، عبدالرحمٰن حسن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ص٢٧٣ ـ ٢٧٩، بتصرف.

شديداً من انفعالات النفس وعواطفها وأخلاقها، فيكون كسب الإنسان وفق إرادته التي هي أساس الاختيار وسيدة أعمال القلب، فيتحرك البدن تبعاً لهذا الاختيار ونتيجة لهذه الانفعالات ومنها:

١ ـ **الرعب**: الذي يصل إلى عمق القلب، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: ١٥١].

٢ ـ **الوَجَلُ**: وهو الخوف الذي يصل إلى عمق القلب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢]، هذا الخوف من أوصاف المؤمنين الذين إذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم، أي: خافت من عظمته وقهره والخوف من عقاب يوم الحساب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٨ ـ ٦١].

٣ ـ **الوَجْفُ**: وهو شدّة الخوف الذي ترتفع فيه دائرة القلب من عمق الجسد حتى تبلع الحناجر، ولا يبقى بينها وبين الموت إلا اللفظة الأخيرة، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٨ ـ ١٩]، وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ [النازعات: ٨ ـ ٩].

٤ ـ **وفي الاشمئزاز**: الذي يصل إلى دائرة القلب ولا يقف عند حدود دائرة النفس الكبرى قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥].

٥ ـ **الغَيْظ**: وفي الغيظ الذي يصل إلى دائرة القلب، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ

مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التوبة: ١٤ ـ ١٥].

٦ ـ **الغِلّ**: الذي يصل إلى دائرة القلب لشدّته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

٧ ـ **وفي عواطف الحبّ والمَيْل والتوادّ والتآلف**: قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

٨ ـ **وفي الشجاعة**: قال تعالى: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال: ١١].

٩ ـ **الحسرة**: الحسرة التي تتغلغل في دوائر النفس حتى تَعْبُر دائرة القلب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

١٠ ـ **التوبة**: التي تكون في القلب، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم: ٤].

١١ ـ أما مختلف عوامل الكبر الحسد الرغبة والفجور والعناد: التي وصلت إلى عمق القلوب، فهذا الكسب الذي في القلب يؤاخذ عليه، ويؤاخذ الإنسان على أفعال القلب كالحسد والطمع والنفاق والرياء والإعجاب.

حقيقة القلب السليم[1] والقلب المريض والميت والقاسي:

لما كانت منطقة الكسب في القلب هي المسيطرة على الخواطر في حديث النفس والجوارح في سائر أعضاء البدن، كان القلب لهذه الأركان والأعضاء كالملك المتصرف في الجنود الذي تصدر كل حركاتها وأعمالها عن أمره، ويستعملها فيما شاء، فكلها تحت سلطانه وقهره وتكتسب منه الاستقامة والزيغ، وتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله، فالجسد فيه كالمضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، ففي القلب مشيئة العبد ونيته، وهو المسؤول عنها كلها، لأن كل راع مسؤول عن رعيته.

١ ـ **القلب السليم**: هو القلب الصحيح الذي ينجو يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨ ـ ٨٩].

والقلب السليم قد سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونَهْيِه، وكل شبهة تعارض خبره، فسلم من عبوديته لما سوى الله، وسلم من تحكيم غير رسوله، فسلم في محبة الله مع تحكيمه لرسوله في خوفه ورجائه والتوكّل عليه والإنابة إليه والذل له، وإيثار مرضاته في كل حال والتباعد عن سخطه بكل طريق، وهذه هي حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، فالقلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل خلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلاً وإنابة وإخباتاً وخشية ورجاء، وخلص عمله لله فإن أحب أحب في الله، وإن أبغض أبغض في الله، وإن أعطى أعطى لله، وإن منع منع لله، ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل من سوى رسوله، فيعقد قلبه معه عقداً محكماً على الائتمام والاقتداء به وحده دون كل أحد في الأقوال والأعمال.

٢ ـ **القلب الميت**[2]: وهو ضدّ هذا الميل، وهو القلب الذي لا حياة

---

(١) الرضواني، منة القدير، ص٣٤٣ ـ ٣٤٥، بتصرف.

(٢) الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧، بتصرف.

فيه، فهو لا يعرف ربه، ولا يعبده ولا يعمل بما أُمِر، ولا يطيع ما يحبه ويرضاه، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربّه وغضبه، وقد تعرض هذا القلب لمستويات إلى أن أصبح قلباً ميتاً أقفل عليه كما طبع عليه بالعمى والموت.

فأول الأمر: إصابة القلب بالعَشْي:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦]. فالعشي هذا عَشْي البصيرة.

ثانياً: إصابة القلب بالعمى:

يستمر القلب في غِيّه وضلاله ويعشي عن ذكر الرحمٰن، حتى تنطمس عنده رؤية الحق فيعمى عن رؤية دلائل الحقّ والهدى، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

ثالثاً: صرف القلوب:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: ١٢٧].

رابعاً: عزل القلوب:

وهو يشبه الأكِنَّة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾ [الإسراء: ٤٦].

خامساً: تغليف القلب تغليفاً كاملاً:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء: ١٥٥].

وهذا هو الرين الذي يحلّل القلوب بما تكسبه من الذنوب الكثيرة، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

سادساً: الإقفال على القلوب:

بعد عزلها عن الإحساس بمؤثرات الهداية ودعوات الحق والخير، قال تعالى في شأن المنافقين الذين في قلوبهم مرض في سورة محمد: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، أي: أم حُبست قلوبهم عن الإحساس بالخير، وضربت الأقفال على أبواب سجونها.

سابعاً: الختم على القلوب والطبع عليها:

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

وبالطبع على القلب الذي يتسبّب به الإنسان لنفسه، ويحلّ فيه ضمن سنن الله الثابتة في كونه، يُحجب الإنسان عن علم ما ينفعه في آخرته، ويغفل غفلة تامة عن نذر الخطر التي تتكاثر من حوله حتى لا يسمع أقوال المنذرين بل يستهزئ بها.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف: ١٠١].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ

ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٩٧ ـ ١٠٠].

وقد تصل القلوب بعد الختم والطبع عليها إلى حالة تشبه فيها الميت الدفين في الحنت الذي يتخذ للموتى[١].

وهكذا القلوب تتقلّب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن بين معاني القدرة والحكمة ومعاني الفضل والعدل، وكل ذلك ليقع قَدَرُ الله عزَّ وجلَّ الذي سبق به القضاء ويتمّ بعلمه وقدرته ما يشاء، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨][٢].

(١) حبنكة، الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، جزء الأول، ص٢٧٣ ـ ٢٧٨ بتصرف.

(٢) الرضواني، المجلد الثاني، ص٣٦٦.

٢ ـ العقل

العقل: هو ذاك الفكر والإحساس الذي يجعل الإنسان العاقل يحبس نَفْسَهُ ويردّها عن هواها. والتّعقّل ضدّ الحماقة وسمّي العقل عقلاً، لأنه يعقل (يحجز ويمنع) صاحبه عن التورّط في المهالك، أي: يحبسه، والعقل في اللغة: هو الحِجْر والنهي وهو ضِدُّ الحمق والجهل[١].

أما العقل في القرآن: فقال قال الله تعالى فيه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥][٢].

وقد بيّن القرآن الكريم أن العقل الفطريّ هو العقل الذي يميّز الأمر البديهيّ على مقتضى مدارك اليقين المعروفة.

وقد ورد العقل بمعنى قوّة التمييز التي تقوم بالتعقّل والتروّي، ففي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال: خرج رسول الله ﷺ في عيد الأضحى أو عيد الفِطْر إلى المصلّى، فمرّ على النساء فقال: «**يا معشر النساء تصدّقنّ، فإنّي أُريتُكُنَّ أكثر أهل النار**، فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: **تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْن العَشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل من إحداكنّ**، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: **أليس شهادة المرأةِ مثل نصف شهادة الرجل؟** قلن: بلى، قال: **فذلك من**

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١١/٤٥٨.

(٢) الإسراء: ٨٥.

نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تَصُمْ؟ قلن: بلى، قال: **فذلك من نقصان دينها»**[1].

أما العقل في المعنى الاصطلاحي فهو غريزة وضعها الله عزَّ وجلَّ في قلوب الممتَحنين من عباده لا نعرف كيفيّتها، ولكن نتعرف على وجودها من قول اللسان وأفعال الإنسان[2].

والدليل على أنّ العقل موجود في القلب قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦]، أثبت العلم الحديث أنّ العقل كائن في القلب، وقد ساد عند كثير من علماء الطّبّ فهما مفاده أن القلب عبارة عن مضخة ميكانيكية للدّم، وأن مصدر العاطفة والمشاعر هو العقل، والمراد به المخ وليس القلب...

وقد جاءت معطيات العلم الحديث أخيراً لتؤكد أنّ العقل في القلب، وأنّ القلب هو المهيمن المتحكّم في المشاعر والسلوك، ففي آخر الأبحاث العلمية حول الخلايا العصبية وعلم الأعصاب، ظهرت تفسيرات علمية محضة عن محفزات السلوك الإنساني وبواعثه كمسألة إخلاصه وولائه، والثقة والالتزام، والتغيّر السلوكي أكثر من أي وقت مضى في تاريخ البشرية، وكل هذه التفسيرات عادت لتصبّ في بوتقة الدليل النصي الظاهر من الوحي في نصوص القرآن والسنّة.

في القديم، كانوا يقولون: إن إشارات حواسنا الخمسة تنتقل عبر الجهاز العصبي بدائرة كهربائية مباشرة إلى المخّ، فنفكر فيها ثمّ نستجيب بسلوك معيّن، وقد ثبت الآن خطأ هذه الفرضية، فالآن يقولون: إننا عندما نقابل شخصاً لأول مرة، أو نواجه تحدّياً، أو مشكلة، أو عندما تلوح لنا

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٩٨، كتاب الحيض، باب: ترك الحائط الصوم، ١١٦/١.

(٢) الرضواني، محمود عبدالرزاق، مكتبة سلسبيل، القاهرة، المجلد الثاني، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٢٥٠.

فرصة، فإن الموقف سواء كان تجربة، أو خبرة لا تذهب مباشرة إلى المخ لكي نفكّر فيها، بل تأتي من الحواس المادية وتذهب في البدء إلى الشبكة العصبيّة في القلب وليس إلى المخّ، فالمكان الذي تذهب إليه كل مؤثرات المواقف الابتلائية هو القلب لا المخ.

وهناك اكتشاف آخر أدهش الكثيرين، وهو أن دقّات القلب ليست نبضات ميكانيكية لمضخة، بل لديها لغة ذكية بالغة الذكاء، تؤثر على كيفية فهمنا، وتفاعلنا مع العالم الخارجي، إنّ الدراسات الحديثة في علم الأعصاب توضّح أن كلّ خفقة للقلب يتدفق منها شلال عصبي يرمز له بهرمون التوازن، ويطلق من خلايا عصبية من القلب لترسل فوراً إلى المخ عبر العصب الشوكي.

ويعتبر هذا الهرمون، من خلال الدراسات الحديثة، الباعث الأساسي للسلوك الداخلي لجميع أعمال القلوب كالإخلاص والنيّة والمحبة والولاء والقبول والبغض والكره والحسد والحقد وغير ذلك، ومن حكمة الله تعالى أنّ جعل العقل صِمامَ الأمان وميزانه، يوازن به بين مقدار الخير والشر، جعله الله في قلب الإنسان يتحسّس النظر في الأمور والأشياء فيحرص على ما ينفعه ويصل به إلى محض الإيمان[1].

وليعلم الإنسان أن الله عزَّ وجلَّ حين كرّمه على باقي خلقه، حين قبول الأمانة، فاستخلفه في أرضه، واستأمنه في ملكه في دار الابتلاء والامتحان، هذه المعرفة لا يمكن أن يصل إليها العقل بمفرده، لأن ما يدرك الإنسان بعقله، كما ورد في القرآن أمران اثنان:

الأمر الأول: وهو معرفة الأسماء، وحدود الأشياء. والعلم وهبٌ تلقائيٌ في حياته إلى يوم مماته، لذلك رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة منهم عن الغلام حتى يحتلم، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ

(١) الرضواني، محمود عبدالرزاق، **منة القدير**، المجلد الثاني، ص٢٥٤ ـ ٢٥٦ ـ ٢٥٧، بتصرف.

أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

أما **الأمر الثاني**: والذي يجب على العقل إدراكه، فهو العلم بما جاءت به الرسل السماوية من أحكام شرعية وهداية دينية. فالله عزَّ وجلَّ بعد أن علّم آدم عليه السّلام وتحقّق فيه الأمر الأول، كلّفه بمنهج شرعيّ يلتزمه فيما استخلفه واسترعاه واستأمنه، وابتلاه بأن يفعل أموراً محدّدة، ولا يفعل أموراً أخرى فقال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥].

وقال تعالى بعدما أنزلهما من الجنة: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣ ـ ١٢٦].

فالعقل على هذا المعنى، ينطبق على الإرادة الحازمة القويّة القادرة على ضبط النفس والمستندة إلى نتائج العقل العلمي الواعي.

والعقل ينقسم إلى قسمين[1]:

قسم عقل علميّ:

قسم عقل إراديّ:

مثل الإنسان المؤمن يعقل معرفة علمية ويتأكد منها لكنه يكون عاجزاً عن ضبط النفس وحبسها عن الانطلاق مع أهوائها وشهواتها التي تدفعه إلى المهالك وتقذف به إلى سوء المصير. قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) الرضواني، **منة القدير**، ص٢٥٩ ـ ٢٦٤، بتصرف.

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

والعقل ينقسم إلى قسمين[1]:

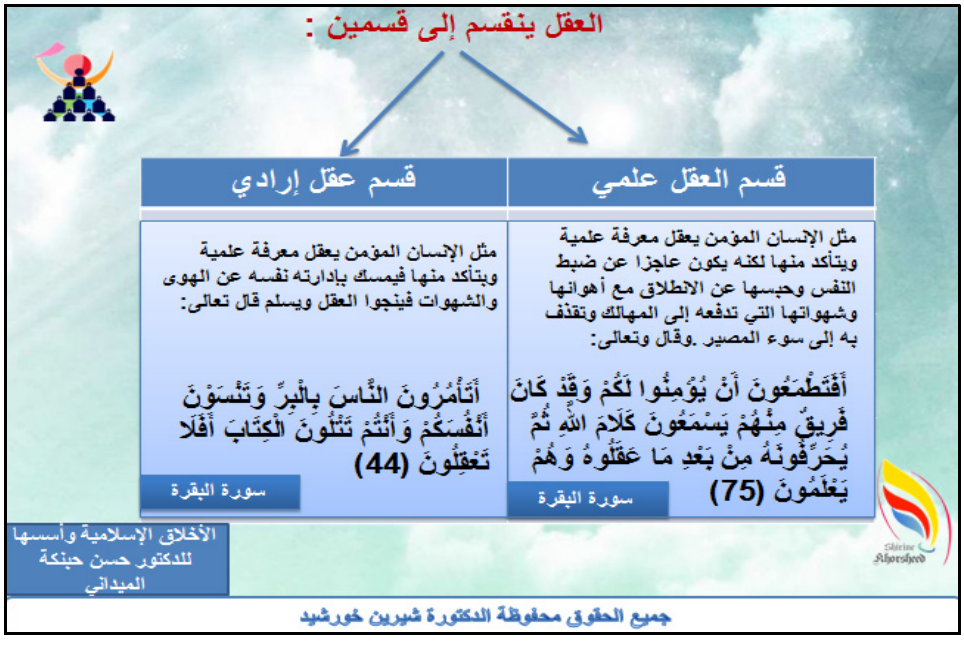

فالعقلاء هم من استفادوا بنعمة العقل في معرفة ربّهم ومعبودهم فوحدوه، واستدلوا بغناه الذاتي وفقر جميع الخلائق إليه، وأنه لا تكلان إلا على الله، فلا يرجعون بحولهم وقوتهم إلا إليه، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله، فآمنوا بقدرته واستقاموا على شريعته فهم حكماء عقلاء صدقوا مع أنفسهم، وصدقوا مع ربهم، وصدقوا مع نبيهم يورثهم الله البصيرة في قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) الميداني، عبدالرحمٰن حسن، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ط٣، الجزء الأول، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، بتصرف.

(٢) الميداني، عبدالرحمٰن حسن، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الجزء الأول، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩، بتصرف.

٣ ـ النفس

النفس: بمعنى الإنسان كله روحاً وجسداً. قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١].

وقال تعالى في سورة الشمس وترتيبها من أسباب النزول ٢٥ وقد تنزلت على قلب رسول الله ﷺ بعد سورة القَدْر، وموضوع سورة الشمس هو تأكيد قضية الجزاء، الذي هو عاقبة الابتلاء والمسؤولية في الحياة الدنيا، بمقتضى حكمة الرب الخالق العليم الحكيم القدير.

وقال تعالى:

١ ـ ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ [الشمس: ١].

٢ ـ ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾﴾ [الشمس: ٢].

٣ ـ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾﴾ [الشمس: ٣].

٤ ـ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾﴾ [الشمس: ٤].

٥ ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾ [الشمس: ٥].

٦ ـ ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾﴾ [الشمس: ٦].

٧ ـ ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾﴾ [الشمس: ٧].

وهذه الآيات قسم من الله عزَّ وجلَّ ببعض ظواهر خلقه الجليلة، التي تذهب بِلُبِّ الإنسان. فيتعرَّفُ بها الإنسان إلى صفاته العظيمة الجليلة. إنّه

أولٌ بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء وهيمنته على كلّ شيءٍ، وسلطانه دائم، وعِلْمُه محيطٌ بكلِّ شيء، وتدبيرُه حكيمٌ، وقدرته على ما يشاء إلى ما يشاء.

وبعدها يأتي بقسم ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾ [الشمس: ٧] أقسم بالنفس، وأقسم بتسوية الله لها. فإنّ النفس الإنسانية قد سوّاها الرَّبُّ تسويةً مدهشةً لما أُعِدَّت له.

إنّ النفس الممتحَنة المكلَفة في الحياة الدنيا وما فيها من إبداع الخالق في تسويتها، بجعلها كاملة الصِّفات التي تؤهِّلها لأداء وظيفتها في الحياة، مخلوقٌ عجيب، يستحقُّ أن قسم الله عزَّ وجلَّ به، وخصائص النفس الفكرية، وغرائزُها ودوافعها وعواطفها وآلامُها ولذّتها وآمالها وطموحاتها وانفعالاتها وأخلاقها، من أعجب العجب، وهذا الإبداع من أقوى الأدلَّةِ في هذا المخلوق على الخالق العظيم.

إنّ من خصائص النفس أنّها موجودة ضمن خلية صغرى، ضمن جسد المخلوق من الإنس والجن. ونفس الإنس أكمل وأعظم إبداعاً.

وبعد تسويتها، ألهمها الله تعالى معرفة سبل فجورها ومعرفة طريق تقواها، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٨ ـ ١٠].

والإلهام هو ما يُلقيه الله في النفس فيجعلها تستحسن الحسن، وتستقبح القبيح. وقد جعل الله عزَّ وجلَّ في الإنسان الإرادة لكي يختار بين الخير أو بين الشر فيتحقق في ذلك الابتلاء والامتحان الذي شاءه الله للإنسان في ظروف الحياة الدُّنيا.

زكّاها: من الزكاة. وتعني: الطهارة والنماء والبركة والمدح.

واستعملت الزكاة والتزكية في القرآن بمعنى الطهارة والتطهير، وبمعنى: النماء والتنمية والبركة، وبمعنى: الصلاح والإصلاح.

ودساها: أي: دنّسها ولم ينمّها بالفضائل. دساها: ضدُّ زكاها، أي: أغواها وأفسدها وغمسها في أوحال الكفر والشرك، أو كبائر الآثام

والمعاصي، وأخفاها عن استقبال أضواء شمس الهداية.

فعندما أقسم الله عزَّ وجلَّ بالنفس، كان ذلك لأهميتها في هذه الحياة[1].

أولاً: النفس في القرآن الكريم ومنافذها[2]:

ورد في القرآن الكريم آيات عديدة تذكر «النفس» وتبيّن حقيقة خلق الناس ومصدر هذا الخلق فقد قال تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

وذكرت «النفس» في سورة الأعراف بقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩].

وأكد ذلك في سورة الزمر: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦].

وأكد تعالى مصدر نشء الناس في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنعام: ٩٨].

وهكذا يتبيّن لنا أن النفوسَ البشرية كلّها قد خُلِقَتْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ،

---

(١) الميداني، عبدالرحمٰن حبنكة، **معارج التفكر ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الطبعة الأولى، الجزء الثاني، ص٣١٧ ـ ٣١٩ بتصرف.

(٢) الميداني، عبدالرحمٰن حبنكة، **الأخلاق الإسلامية وأسُسُها**، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ص٢٢٩ ـ ٢٥٥ بتصرف، باب: النفس كاملاً مستوحى من كتاب: **الأخلاق الإسلامية وأسسها**.

هي نفسُ الإنسانِ الأولِ آدمَ عليه السلام، ومن هذه النفس خلق الزوج ثمّ بث منهما عن طريق التناسل، رجالاً كثيراً ونساءً.

ثانياً: صفاتُ النفس:

● أولاً: الهوى:

أثبت القرآنُ أنَّ النفسَ لها هوى، والهوى شعورٌ يَميلُ بِها إلى تحقيق ما تُحِبُّ مِنْ مَطالِبَ وحاجات، أو مُتَع ولَذّاتٍ وشَهَوات، أو عواطف وانفعالات، وقد يكون ما تهواه شراً لها، أو أذى أو ضرراً، مع ذلك تحبّ وتفضّل تحقيقه وتسعى إلى ذلك. قال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

وفي سورة النجم قال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ [النجم: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة: ٨٧].

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ

مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَـٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٤٨ ـ ٥٠].

● **ثانياً: الشهوة:**

أثبت القرآن أنَّ النفسَ لها شهوةٌ، بِها تَشتَهي ما تَستَمتِعُ بِهِ، أو تَلَذُّه. ولذلك وصفَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أهلَ الجنةِ الذين يخالفون شهوة النفس، ويتبعون الطريق المستقيم الذي يرضي الله تعالى بأنهم المبعدون عن النار والخالدون في الجنة قال في سورة الأنبياء قال: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

● **ثالثاً: الحاجاتُ والمطالب:**

كما أثبت القرآن أنَّ للنفسِ حاجاتٍ ومطالبَ تَسْعى لقضائها. قال تعالى: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ﴾ [يوسف: ٦٨].

● **رابعاً: الشعورُ بالمشقّات:**

وصف الله عزَّ وجلَّ النفس في سورة النحل أنّها تشعر وتشقى وتتعب فقال: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: ٧].

● **خامساً: الصبرُ وضِدُّه:**

وأكد الله تعالى في كتابه على أهميّة تحلّى النفس البشرية بالصبر لكي تستطيع تحمل مشقات الحياة العديدة فقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]، وضدها الضّجر، إذاً النفس إما أن تصبر أو تضجر، وبالصبر تفلح وتنال الجنة، ومن ضجر وتضجّر من العبادة والطاعة وابتعد عما يريده الله تعالى في الخلق، كانت له جهنم والعذاب الشديد عقاباً له على ضجره وابتعاده عن العبادة التي يريدها الله.

● **سادساً: الجودُ وضِدُّهُ الشُّحّ:**

قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦]، تُبين الآية أن النفس في طبيعتها تميل إلى الشحّ والعصيان، لكن إن جاهدت هذا الميل، وتحلّت بصفات الخير والجود والكرم تفلح في الدنيا والآخرة.

وقال تعالى في النفس الخيّرة المؤثرة للآخرين: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

أما الإنفاق في سبيل الله تعالى فقد قال تعالى فيه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

● **سابعاً: الحسدُ وضِدُّه:**

والحسدُ مِنَ الصِّفاتِ التي تَتَّصِفُ بها النُّفوس الضعيفة، التي تتغذى وتقوى بوسوسة الشيطان أو بالهوى، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

● **ثامناً: الخوفُ وضِدُّه:**

والنفس تخاف وتقلق وتخشى المجهول ولكنها تطمئن بذكر الله تعالى،

قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٧ ـ ٦٨].

● **تاسعاً: الكِبْرُ وضِدُّه:**

ومن النفوس ما هو متكبّر جبار، ظالم لنفسه لأنها تتجاهل الحقيقة، وتنكرها، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الفرقان: ٢١].

● **عاشراً: الضيقُ والحرَج:**

والنفسُ قد تعرف صِفَةَ الضِّيقِ والحَرَج، وضِدُّها الاتساعُ والانشراح، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [التوبة: ١١٨].

● **الحادي عشر: التأثرُ بالقولِ البَليغ:**

وقد تتأثرُ النَّفسُ بالقولِ البليغ، فتستجيب للموعظة ودَعوةِ الحقّ، وفيهم قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ [النساء: ٦٣].

● **الثاني عشر: مشاعر التحسّر والندم:**

أما النفس التي تَتّصِفُ بصِفة التحسُّر والنّدم فقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر: ٨].

● **الثالثَ عَشَر: الإدراكُ إلى حَدِّ الاستيقان:**

ومن النفوس ما يتصف بالإدراك إلى حدّ الاستيقان، وفيها قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤].

ومن خصائص الإدراكية، مَعْرِفَةُ طريق الفجور، وطريق التقوى، ثم تختار بإرادتها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠].

وإذا كانتِ النفسُ تَعلَمُ فإنها تَجْهَلُ أيضاً.

وما تجهله: هو ما تَكْسِبُ غداً، والأرض التي قُدِّرَ لها أن تَموتَ فيها. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

● **الرابعَ عَشَرَ: القُدْرَةُ على إخفاءِ الْمَطالِبِ وَالْمَشاعِرِ:**

وأُطْلِقَتْ هذه الصِفَة على طائفةٍ مِنَ المنافقين، الذين أخفَوْا في أنفُسِهم أشياء يَوم أُحُد، قال تعالى: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥].

أحوال النفس

- **النفس المطمئنة.**
- **النفس اللوَّامة.**
- **النفس الأمارة بالسوء.**

النفس المطمئنة:

هي أعلى درجات النفس، فهي نفس اطمئنت بإقامتها على طاعة الله، فسلّمت بوعده ورضيت بقضائه وتوكلت عليه، وذاقت حلاوة الإيمان، فلم تعد ترضى به بديلاً، واستشعرت لذة المناجاة بين يدي الله سبحانه وتعالى فلم تعد تشغلها عن طاعة ربها مغريات الحياة ولا تصدها عن زينتها قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٢٩].

النفس اللوامة:

قال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾﴾ [القيامة: ١ ـ ٢].

أقسم الله عزَّ وجلَّ بالنفس اللوامة في داخل الإنسان، فهي من بديع اتقان صنع الخالق لهذا الإنسان، وإيجادها فيه هو بمثابة إيجاد دليل على الجزاء الرباني، وأنه حق لا محالة، وهذا الدليل موجود داخل ذات

الإنسان، كما هو مفطور على مشاعر تهديه إلى الإيمان بالله خالقه، والمهيمن عليه.

إن النفس اللوامة تمثّل عنصر الفطرة الخيرة الفاضلة في النفس الإنسانية، لأنها تقوم بوظيفة لوم جانب الإرادة التنفيذية داخل الإنسان على أعماله السيئة، وعلى تقصيره عمّا ينبغي أن يعمله، كلما نفّذ جانب الإرادة شيئاً من ذلك[1].

النفس الأمارة بالسوء:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

عندما تنحط النفس البشرية فتميل عن طبيعة الفطرة التي فطرها الله عليها، فإنها تأمر صاحبها بالشر وتسوّل له الإقدام على فعله، وتغوي بارتكاب المحرمات.

كيفَ تتوجَّهُ النَّفس إلى الاختيارِ والإرادةِ الْحُرة؟

كُلُّ واحِدٍ مِنّا حين يَعزِمُ الأمر على أمرٍ ما، يصل إلى هذه الإرادة، عبر ستةِ مُستويات هي:

١ ـ توجُّه النَّفس:

وهي كالتفاته إلى شيءٍ للنظر إليه أو البحث فيه والتأمل (وهذا أمرٌ خال من المسؤولية).

٢ ـ الرغبة:

ومع ميل النفس، تأتي أحاديث النّفس ووساوسها، وهذا **مستوى الرغبة المجرّدة**، ثمَّ يأتي مستوى الهمِّ والسعي الفكري للتنفيذ. روى البخاريُّ

(١) عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني، معارج التفكر ودقائق التدبر، دمشق، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، المجلد الثاني، ص٤٦٨.

ومسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تَجاوَزَ عن أمتي ما وَسْوَسَتْ به صدورها ما لم تعمل به أو تتكلّم**».

٣ ـ الهمّ:

وفوق مستوى الرغبة المجردة يأتي مستوى الهم بالتنفيذ. روى البخاري ومسلم عن عبدالله بن عباس، عن الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ، قال: «**إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثمّ بيّن ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها، كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن همّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

٤ ـ الإرادة الجازمة:

وهي العمل على تنفيذ ما يريد.

٥ ـ العقل:

بعد العمل على التنفيذ يأتي مستوى العقل والتعقّل، والعقل هو حجز الإنسان عن الاندفاع وراء أهوائه وشهواته، والانزلاق إلى مواطن هلكته العاجلة أو الآجلة.

والعاقِلُ في اللغة: هو الذي يَحبِسُ نفسَه ويَرُدُّها عَنْ هَواها.

٦ ـ العَزْم:

والعزم هو اتجاه النفس في القدرة على التصدّي للعقبات والصُّعوبات. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٩]، فالأعمال تحدّد قيمتها الحقيقية بقيمة النيات الباعثةِ عليها.

٤ ـ قيادة النفس وإدارتها

أولاً: قيادة النفس:

قيادة النفس: تعني معرفة الأولويات[١] كما وضعها الله تعالى لنا ورسوله ﷺ، والتمييز بين الهدف والوسيلة حتى يتمكن القائد من وضع الخطط التي ترضي الله ورسوله ﷺ.

ومن أكبر الأولويات: (التوحيد).

إلى أصغر الأولويات: (إماطة الأذى عن الطريق) لأجل ذلك لا بد من معرفة الطريق المستقيم وكيفيّة السير عليه:

أولاً: معرفة هذا الطريق.

ثانياً: معرفة الهدف الرئيسي من السير على هذا الطريق.

ثالثاً: معرفة الوسائل التي تساعدني على السير.

رابعاً: معرفة الأولويات.

أولاً: معرفة الطريق المستقيم:

الحمد لله الذي أنعم علينا، ونعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، فمن نعم الله الجليلة على عباده، الفكر المدرك للمعرفة والإرادة الممكَّنَة في

---

(١) نسيبة عبدالعزيز العلي المطوع، قيادة الذات وإدارتها، الكويت، رؤية تربوية، ص٣٢.

حريّة الاختيار، والحواس الظاهرة والباطنة والرزق والصحة، وتسخير المسخرات في الكون، كالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والجبال والليل والنهار والأنعام والمراكب وغيرها، واصطفى لنا الدين، وبعث لنا الرسل الأكرمين وخاتمهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنزل القرآن الحاوي لما فيه هداية البشر، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم لأجل سعادتهم العاجلة والآجلة، وما أعد الله للمؤمنين المتقين من جنات النعيم يدخلونها يوم الدين بفضل الله ورحمته بهم ومنها عفوه وغفرانه قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

لقد أكّدت نصوص كثيرة جداً أنّ صراط الله الديني الذي اصطفاه الله لعباده صراط مستقيم واحد، لا تعدد فيه، وهو الدين الذي بيَّنه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله أَتْباع جميع الرسل أُمَّة واحدة، تتلاحق مواكبها بقيادة المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمداً بن عبدالله ﷺ.

لكن أهواء الناس هي التي كانت السبب في التفرّق والتمزّق إلى فرق

وأحزاب شتّى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ٥٢ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٤].

وهذا الصراط هو منهج الحياة الصحيحة، وهو الطريق الواضح الحيّ والمستقيم، لا عوج فيه ولا انحراف عن الحقّ أو الخير؛ وقد اصطفى الله تعالى لعباده هذا الدّين بشرائعه وأحكامه وبياناته للمحافظة على سلامة الكون بما فيه من مخلوقات وكواكب مراعين القوانين والنظم التي أوجدها الله في تقديره لجزيئات وكليات هذه المخلوقات وللمحافظة على نعم الله التي أنعمها عليهم مسخّرة لراحتهم ولاستمرار حياتهم.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾ [المَائدة: ٤٨ ـ ٥٠].

وقد أكّدت النصوص الكثيرة جداً أن صراط الله الدينيّ الذي اصطفاه لعباده جميعاً هو عقيدة واحدة ثابتة وهو صراط مستقيم يشهد الخلق جميعاً، بأن الله هو الخالق الواحد الأحد، وأنه لا شريك له بأسمائه الحسنى ولا بصفات الكمال، لا تعدّد فيه ولا تغيير بأركانه، وهو الدين الذي بيّنه الله تعالى لآدم عليه السّلام ولسائر النبيين والمرسلين من ذرّيته. قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ ـ ٨٧].

الصراط المستقيم[1]:

ما هو الصراط المستقيم؟

وهل الصراط متغيّر من أمة إلى أمّة؟

وهل الصراط هو الطريق الذي نسلكه في دار الابتلاء لنصل به إلى دار الجزاء؟

ومَنْ يضع هذا الصراط لكي نسير عليه؟

وهل جميع الناس ينهجون نهج هذا الصراط أم أنهم ينهجون مناهج مختلفة؟ وما هي هذه المناهج؟

ألم يقل الله الذي خلقنا وهو أعلم بمن خَلَقَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنعام: ٥٥].

ألم يقل الله تعالى الصراط المستقيم هو ما وصّى الله تعالى به رسوله ﷺ، ليدعو قومه كي يتّقوا بسلوكهم إيّاه عذابه يوم القيامة؟ لقد سنّ الله عزَّ وجلَّ سُنَناً كونية، وصراطاً مستقيماً واحداً، لا تعدّد فيه، ولا نقصان ولا خلل، وهو المنهاج الذي بيّنه الله لآدم عليه السلام ولسائر النبيّين والمرسلين من ذريته.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

---

(١) الميداني، عبدالرحمٰن حسن حبنكة الميداني، المجلد الأول، **تفسير سورة الفاتحة**، ملحق خاص في تفسير الصراط المستقيم، ص٣١٩ ـ ٣٧٣ بتصرف.

ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [المائدة: ٤٨ ـ ٥١].

لذا نجد اليوم أنّ الناس ينهجون مناهج مختلفة في حياتهم، انطلاقاً من المبادئ والأسس الاعتقادية التي يعتقدونها، وهذا هو نظام السلوك الإنساني الذي فطر الله الناس عليه، وجعله سنّة من سنن الاجتماع البشري، فمن آمن بالله ورسوله دفعه إيمانه إلى الالتزام **بصراط الله المستقيم الذي اصطفاه ديناً لعباده، وتحرى العمل بمنهاجه التفصيليّ**. ومن اختار لنفسه مبادئ أخرى وضعية من الأوضاع البشرية عمل بما تقتضيه هذه الأوضاع البشرية.

لذا يخطئ بعض المتعجلين في فهم قول الله عزَّ وجلَّ في هذا النص: (لكل جعلنا شرعةً ومنهاجاً) فيتصوّر أنّ رسالات الله التي أرسل بها رسله السابقين إلى الأمم مختلفة فيما بينهما شرعة ومنهاجاً، وما جاء في الرسالة الخاتمة مشتمل على شرعة ومنهاج مخالفين أيضاً لما جاء في الرسالات السابقات، **وجاء هذا الوهم** من كون بعض أحكام الفروع التعبدية قد جاء فيها تكميل أو تعديل أو تيسير، مع أنّ مثل هذا قد حصل في الرسالة الخاتمة نفسها، دون أن يؤثر على وحدة صراط الله، ووحدة شرعته وقد أكّدت النصوص الكثيرة جداً أن صراط الله الديني الذي اصطفاه الله لعباده صراطٌ مستقيم واحد، لا تعدُّد فيه وهو الدين الذي بيَّنه الله لآدم ولسائر النبيين والمرسلين من ذريته.

ونظراً إلى وحدة صراط الله لعباده جعل الله اتباع جميع الرسل أمّة واحدةً، تتلاحق مواكبها بقيادةِ المرسلين، حتى خاتمة الرسالات الربانية التي جعل الله قائدها محمداً بن عبدالله ﷺ **لكنّ أهواء الناس** هي التي كانت السَّبَبَ في التفرُّق والتمزّق إلى فرقٍ وأحزابٍ شتى، فمن التزم صراط الله الحق اتّبع الرسول الخاتم، وعَمِلَ بما أنزل الله عليه، وهجر تحريفات المحرّفين وغُلُوّ الغالين، وما أَدخل النّاس من شِركياتٍ وكفريّاتٍ فيما ينسب إلى الرُّسُل السابقين.

دل على هذه الحقيقة قول الله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٤].

شِرْعَة: الشرعة والشريعة في كلام العرب هي مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شرعوها دوابهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء فيضاً لا انقطاع له، وحتى يكون ظاهراً معيناً لا يحتاج أن يُنْضَح بالدلاء. [عن لسان العرب مع بعض تصرّف في اللّفظ].

وهنا نلاحظ أن الشرعة تشير إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي يشرعها الناس، فيشربون منها ويستقون مفهوماتهم للحياة وعقائدهم، وهو ما يسمى في اصطلاح القانونيين بالمبادئ الأساسية، أو المواد الدستورية، أو الأسس التي يعتمد عليها الدستور، وقد يُطْلِقون عليها عبارة «إيديولوجيات».

منهاجاً: المنهاج والمنهج الطريق الواضح، تقول العرب: أنهج الطريق، إذا وضح واستبان، وصار نهجاً واضحاً بيناً.

وهنا نلاحظ أن المنهاج يشير إلى الأحكام التفصيليّة لأعمال الحياة وأنواع السلوك فيها، وهذه الأحكام تستند إلى المبادئ والأسس الاعتقادية التي اشترعوها وانطلقوا منها، فهي الإيديولوجيات التي يستندون إليها في رسم مناهجهم في الحياة.

والناس في شرائعهم ومناهجهم على أقسام:

١ ـ فمن يؤمن بالله ورسله، واليوم الآخر، ويكون صادقاً مخلصاً حريصاً على سعادته ونجاته، يَرِدُ شِرْعة الله لعباده، ويصدر عنها سالكاً منهاج الله لهم.

وانسجاماً مع هذه الفطرة التكوينيّة، اصطفى الله للناس في الكتب التي أنزلها على رسله شرعة يشربون منها المبادئ والأسس التي يجب عليهم أن يؤمنوا بها، ليضمنوا لأنفسهم السعادة العاجلة والآجلة، واصطفى لهم منهاجاً بيناً واضح المعالم موصولاً بالشرعة، وأوصاهم بأن يسلكوه في حياتهم، ليضمنوا لأنفسهم السعادة.

وهذا المنهاج الربانيّ قد دخل فيه بحسب التكامل البشري، والتطوّر الإنساني تكامل، وبعض تعديلات، ليلائم الطور الذي وصل إليه الناس، فلما اكتمل التطور البشريّ أنزل الله عزَّ وجلَّ المنهاج المكتمل على خاتم رسله.

٢ ـ والذين يشركون بالله، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع شركهم، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.

٣ ـ والذين يجحدون الله جحوداً كلّيّاً، ولا يؤمنون بالغيب، ولا يؤمنون بأنهم مدينون ومجازون، قد اتخذوا لأنفسهم شرعة غير شرعة الله لعباده، ولا بد أن يكون لهم منهاج في الحياة منسجم مع نوع كفرهم بالله واليوم الآخر، وهو مخالف حتماً لمنهاج الله للناس.

فمن اختار شرعة غير شرعة الله، بمقتضى ما وهبه الله من إرادة حرة مختارة، وسخّر له المسخرات التي تطيعه بخلق الله، فيحقّق بها ما اختار لنفسه، فلا بد أن يتّخذ في حياته منهاج سلوك يلائم ما اختار من شرعة، ويمكنه الله من سلوكه بما يسخر له من مسخرات، ومن اختار شرعة الله كذلك فلا بد أن يدفعه إيمانه إلى سلوك منهاج الله لعباده، وبعد وجود الدافع: إما أن يستجيب بإرادته مطيعاً، وإمّا أن لا يستجيب فيتبع هواه عاصياً.

فالمؤمنون شرعتهم ابتغاء مرضاة الله، ومنهاجهم أحكام دينه لعباده.

والكافرون شرائعهم أهواؤهم وضلالات الشياطين، ومناهجهم ما يرضي شهواتهم، ويرسم لهم شياطينهم وواضعو مذاهبهم. وبما أنّ الناس مختلفون في شرائعهم ومناهجهم، فلا بد أن يفترقوا إلى أمم متخالفة، وهذا من آثار منحهم إرادات حرة لابتلائهم في ظروف الحياة الدنيا.

ولو شاء الله أن يجعل الناس أمة واحدة، لسلب الناس إرادتهم الحرة، ولجعلهم مجبورين على الإيمان والإسلام، ولكانوا بذلك أمة واحدة ربانية خاضعة في حركاتها وسكناتها لسلطان قدر الله الجبري.

ولكن هذا يفوّت حكمة الابتلاء، الذي هو في الأساس الغاية من خلق الناس مزوّدين بالصفات التي هم عليها.

فالله عزَّ وجلَّ لم يجعل الناس أمة واحدة بالقهر والجبر، لأن حكمته قد قضت بأن يمتحنهم فيما ارتآهم من إرادات حرة، وإدراك للأمور. وعقل، وشهوات، وغرائز وأهواء، وقدرة على الطاعة والمعصية، وفعل الخير وفعل الشر، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً.

فقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي: ولكن لم يشأ أن يسلبكم إرادتكم الحرة، ويجعلكم أمة ربانية واحدة، ليبلوكم في ما آتاكم من صفات ميزكم بها على المخلوقات المجبورة التي لا اختيار لها.

﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفي هذا بيان المطلوب في الامتحان، وهو فعل الخيرات والاستباق إليها، ليظهر من هو أحسن عملاً، فيجازيهم الله يوم الدين، بحسب سبقهم أو تقصيراتهم جزاء الفضل، وليظهر المسيئون والكافرون الجاحدون، فيعاقبهم الله يوم الدين على سيئاتهم وكفرهم وجحودهم عقاب العدل.

فالمرجع إلى الله هو للحساب وفصل القضاء والجزاء، أما الإخبار بما كان الناس فيه يختلفون إلى شرائع ومناهج، فيكون بكشف الحقيقة التي لا

يغشيها يومئذ هوىً، ولا وساوس شياطين، ولا ضلالات مضلين، ولا زخرف أقوال المغوين المفسدين.

ويومئذ يظهر للجميع أن الحق الذي لا ريب فيه هو شرعة الله ومنهاجه، اللّذان أوحى بهما إلى رسله، وأما شرائع الناس ومناهجهم المخالفة له، والمتخالفة فيما بينها، فهي بواطل وزيوف.

ويومئذ تحقّ كلمة الرحمة والتكريم لمن آمن بالله، وبما أنزل الله على رسله، واستقى من شرعته الطاهرة النقية لعباده، وسلك المنهاج الواضح بين الهادي إلى السعادة العظمى، والذي اصطفاه الله لهم.

ثانياً: الهدف من السير على الصراط:

أما حديث رسول الله ﷺ قال: «**ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعند رأس الصراط داع يقول: استقيموا على الصراط، ولا تعوجّوا، وفوق ذلك داع يدعو، كلما همّ عبدٌ أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تَلِجْهُ**».

ثمّ فسره فأخبر:

أن الصراط هو الإسلام، وأن الأبواب المفتحة محارم الله وأن الستور المرخاة حدود الله، وأن الداعي على رأس الصراط هو القرآن، وأن الداعي من فوقه واعظ الله في قلب المؤمن.

الصراط المستقيم هو صراط الله المستقيم الذي رسمه الله لهم، وكلّفهم أن يسلكوه ويلتزموه، هذا الصراط المستقيم الواضح المعالم، الشامل لجميع أمور حياتهم اليومية، والمطلوب منهم في هذه الرحلة العابرة الفانية، التي تأتي بعدها حياة البقاء للحساب والجزاء، أن يسلكوا الصراط المستقيم الشامل التصديق الجازم بالقلب، الذي تفكر وتأمّل وتوصل إلى الحقائق الفكرية العملية واعترف بقلبه أنه يجب أن يسير على هذا الصراط، الشامل على العمل الصالح، بنية خالصة لوجه الله ابتغاء مرضاته ولكن كيف

نتعرف على هذا الصراط إن لم نقرأ كتاب الله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، هذا القرآن يدعوك إلى السير على صراط نجاتك وسعادتك ويهديك إليه.

ففي هذا الصراط مفاهيم الإيمان، وأركانه، وعناصره وأحكامه، ومفاهيم الإسلام، ومفاهيم التقوى والبِرّ والإحسان بمراتبها، ودرجات كل منها، وفضائلها، ومواعيد الجزاء بالثواب عليها، ومفاهيم المعاصي والآثام والمخالفات وتعدّي حدود الله، وما يترتّب عليها من جزاء العقاب.

والمهم في ذلك أنك أنت ستختار؛ ماذا تريد؟

وأنت لك الحرية في اتخاذ قرارك، هل تريد السير على هذا الصراط؟ أم أن فضولك سيجعلك تتساءل عن هذه الأبواب لماذا وضعت؟ وما هذه الأبواب المفتحة ولماذا عليها ستور؟ وهل يمكنك الدخول إليها، وسؤال نفسك لِمَ تريد الدخول إليها؟ إن علمت أن هذه الستور هي حدود الله، ومحظور عليك الدخول إليها، ومحظور أن تتجاوزها، وأن من دخلها أساء لنفسه وعصى الله عزَّ وجلَّ مع أنك يمكنك أن ترضي نفسك الأمارة بالسوء لإشباع شهواتك وأهوائك، مع ذلك جعل الله عزَّ وجلَّ لك واعظ في قلبك يردعك عن الولوج إلى هذه الأبواب وهذا الواعظ هو القرآن الكريم، يدعوك ويدعو جميع الناس إلى السير على الصراط المستقيم ولقد وضّح لك كل شيء وأنار دربك في الدنيا والآخرة.

وبيّن لك ماذا ينتظرك في نهاية هذا الصراط، هل تحركت مشاعرك الوجدانية؟ هل تحركت نداءاتك الداخلية التي قذفها الله عزَّ وجلَّ عبر إلهامك؟ هل شدّتك إلى أن تكون صادقاً مع نفسك وصدق استسلامك لله عزَّ وجلَّ؟

اعلم أن هذه المشاعر والنداءات الداخلية هو صوت الضمير الذي يأتيك بالعظة والتذكر، وينهاك ويأمرك بما أمر الله عزَّ وجلَّ؟ ويقول لك ارحم نفسك ولا تظلمها واترك الستائر مسدلة وأكمل المسير على الصراط المستقيم.

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [البقرة: ١٨٧].

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وأول طريق الصراط هو معرفة الله ومعرفة أسمائه الحسنى ومعرفة صفاته لكي تحقّق الإيمان الجازم بأنه لا إلٰه إلا الله والإيمان له أركان: أما أركان الإيمان فهي كالتالي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.

ثالثاً: الوسائل التي تساعدني على السير على هذا الطريق:

العلم ـ العلم ـ العلم.

بر الوالدين ـ إصلاح ذات البين ـ مساعدة الفقراء ـ وغيرها مما أمرنا الله به من فعله ونحن نسير على الصراط المستقيم.

رابعاً: معرفة الأولويات:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المائدة: ٣٥].

تبين لنا هذه الآية إنّ توحيد الله تعالى من أهم أولويات قيادة النفس.

لذا قيادة النفس هي معرفة الأولويات:

فمثال على ذلك:

مثال (١): فقيادة النفس معرفة أَنّ توحيد الله تعالى من أهم الأولويات.

مثال (٢): بر الوالدين من أهم الأولويات.

مثال (٣): خيرية الرجل لأهل بيته أولوية أساسية.

ويمكننا التعرف على الأولويات من حديث رسول الله ﷺ أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَان**»، والبضع: هو عدد مبهم مقيد بما بين الثلاث إلى التسع، وقيل: إلى عشرة.

والشعبة: القطعة من الشيء، وتطلق على ما يتفرع من الشجرة من أغصان، والمراد بالشعبة في الحديث الخصلة، أي أن الإيمان ذو خصال معدودة، وهي متفاوتة في مراتبها، وقد بيّن النبي ﷺ أن أفضلها: التوحيد الذي هو أساس الإيمان، ولا يصح شيء من الشعب إلا بعد تحققه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ولم يرد في الأحاديث حصر هذه الشعب، وقد اجتهد بعض العلماء في عدها، ولكن لا يجزم بأنها هي المقصودة على وجه التحديد في الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٥٢/١): وَلَمْ يَتَّفِق مَنْ عَدَّ الشُّعَب عَلَى نَمَط وَاحِد، وَأَقْرَبهَا إِلَى الصَّوَاب طَرِيقَة ابْن حِبَّانَ، لَكِنْ لَمْ نَقِف عَلَى بَيَانهَا مِنْ كَلامه، وَقَدْ لَخَّصْت مِمَّا أَوْرَدُوهُ مَا أَذْكُرهُ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الشُّعَب تَتَفَرَّع عَنْ أَعْمَال الْقَلْب، وَأَعْمَال اللِّسَان، وَأَعْمَال الْبَدَن.

فَأَعْمَال الْقَلْب فِيهِ الْمُعْتَقَدَات وَالنِّيَّات، وَتَشْتَمِل عَلَى أَرْبَع وَعِشْرِينَ خَصْلَة: الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَيَدْخُل فِيهِ الإِيمَان بِذَاتِهِ وَصِفَاته وَتَوْحِيده بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، وَاعْتِقَاد حُدُوث مَا دُونه. وَالإِيمَان بِمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبه، وَرُسُله، وَالْقَدَر خَيْره وَشَرّه. وَالإِيمَان بِالْيَوْمِ الآخِر، وَيَدْخُل فِيهِ الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر،

وَالْبَعْث، وَالنُّشُور، وَالْحِسَاب، وَالْمِيزَان، وَالصِّرَاط، وَالْجَنَّة وَالنَّار.

وَمَحَبَّة الله: وَالْحُبّ وَالْبُغْض فِيهِ وَمَحَبَّة النَّبِيّ ﷺ، وَاعْتِقَاد تَعْظِيمه، وَيَدْخُل فِيهِ الصَّلاة عَلَيْهِ، وَاتِّبَاع سُنَّته، وَالإِخْلاَص، وَيَدْخُل فِيهِ تَرْك الرِّيَاء وَالنِّفَاق، وَالتَّوْبَة، وَالْخَوْف، وَالرَّجَاء، وَالشُّكْر، وَالْوَفَاء، وَالصَّبْر، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالتَّوَكُّل، وَالرَّحْمَة، وَالتَّوَاضُع، وَيَدْخُل فِيهِ تَوْقِير الْكَبِير وَرَحْمَة الصَّغِير، وَتَرْك الْكِبْر وَالْعُجْب، وَتَرْك الْحَسَد، وَتَرْك الْحِقْد، وَتَرْك الْغَضَب.

وَأَعْمَال اللِّسَان: وَتَشْتَمل عَلَى سَبْع خِصَال: التَّلَفُّظ بِالتَّوْحِيدِ. وَتِلاوَة الْقُرْآن، وَتَعَلُّم الْعِلْم، وَتَعْلِيمه، وَالدُّعَاء، وَالذِّكْر، وَيَدْخُل فِيهِ الاسْتِغْفَار، وَاجْتِنَاب اللَّغْو.

وَأَعْمَال الْبَدَن: وَتَشْتَمِل عَلَى ثَمَان وَثَلاثِينَ خُصْلَة، مِنْهَا مَا يَخْتَصّ بِالأَعْيَانِ وَهِيَ خَمْس عَشْرَة خُصْلَة: التَّطْهِير حِسّاً وَحُكْماً، وَيَدْخُل فِيهِ اِجْتِنَاب النَّجَاسَات، وَسَتْر الْعَوْرَة، وَالصَّلاةَ فَرْضاً وَنَفْلاً، وَالزَّكَاة كَذَلِكَ.

وَفَكّ الرِّقَاب، وَالْجُود، وَيَدْخُل فِيهِ إِطْعَام الطَّعَام وَإِكْرَام الضَّيْف، وَالصِّيَام فَرْضاً وَنَفْلاً، وَالْحَجّ، وَالْعُمْرَة كَذَلِكَ، وَالطَّوَاف، وَالاعْتِكَاف، وَالْتِمَاس لَيْلَة الْقَدْر، وَالْفِرَار بِالدِّينِ، وَيَدْخُل فِيهِ الْهِجْرَة مِنْ دَار الشِّرْك، وَالْوَفَاء بِالنَّذْرِ، وَالتَّحَرِّي فِي الإِيمَان، وَأَدَاء الْكَفَّارَات، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالاتِّبَاع، وَهِيَ سِتّ خِصَال: التَّعَفُّف بِالنِّكَاح، وَالْقِيَام بِحُقُوقِ الْعِيَال، وَبِرّ الْوَالِدَيْنِ، وَفِيهِ اِجْتِنَاب الْعُقُوق، وَتَرْبِيَة الأَوْلاَد وَصِلَة الرَّحِم.

وَطَاعَة السَّادَة أَوْ الرِّفْق بِالْعَبِيدِ، وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالْعَامَّةِ، وَهِيَ سَبْع عَشْرَة خُصْلَة: الْقِيَام بِالإِمْرَةِ مَعَ الْعَدْل، وَمُتَابَعَة الْجَمَاعَة، وَطَاعَة أُولِي الأَمْر. وَالإِصْلاَح بَيْنَ النَّاس، وَيَدْخُل فِيهِ قِتَال الْخَوَارِج وَالْبُغَاة، وَالْمُعَاوَنَة عَلَى الْبِرّ، وَيَدْخُل فِيهِ الأَمْر بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ الْمُنْكَر وَإِقَامَة الْحُدُود. وَالْجِهَاد، وَمِنْهُ الْمُرَابَطَة. وَأَدَاء الأَمَانَة، وَمِنْهُ أَدَاء الْخُمُس. وَالْقَرْض مَعَ وَفَائِهِ، وَإِكْرَام الْجَار، وَحُسْن الْمُعَامَلَة، وَفِيهِ جَمْع الْمَال مِنْ حِلّه، وَإِنْفَاق الْمَال فِي حَقّه، وَمِنْهُ تَرْك التَّبْذِير.

وَالإِسْرَاف، وَرَدّ السَّلام، وَتَشْمِيت الْعَاطِس، وَكَفّ الأَذَى عَنْ النَّاس،

وَاجْتِنَاب اللَّهْو وَإِمَاطَة الأَذَى عَنْ الطَّرِيق، فَهَذِهِ تِسْع وَسِتُّونَ خُصْلَة، وَيُمْكِن عَدّهَا تِسْعاً وَسَبْعِينَ خُصْلَة بِاعْتِبَارِ إِفْرَاد مَا ضُمَّ بَعْضه إِلَى بَعْض مِمَّا ذُكِرَ. وَاللَّهُ أَعْلَم. هذا والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

تعني الكيفية التي تنفذ بها أجهزة النفس المختلفة هذه الأولويات استهدافاً لتحقيق المراد الأصلي من وضع الخطة، والحنكة في تخطي العوائق والصعاب المعيقة للوصول إلى الهدف، والبصيرة الواعية لتفادي الانزلاق في دهاليز ومطبات النفس وسلبياتها على قدر الاستطاعة، ليتمكن الإداري الفذ من إدارة نفسه بتوجيه طاقاته التوجيه الأمثل حريصاً أن يصل إلى هدفه بأسرع السبل وأقل الجهود وأدنى الأزمان[1].

فمثال كما قلنا: إن قيادة النفس معرفة إنّ توحيد الله تعالى من أهم الأولويات، أما إدارتها فيكون بتوجيه طاقات الإنسان بالطريقة المثلى التي تحقق وتنفذ التوحيد والعبادة الصحيحة.

مثال (٢): بر الوالدين من أهم الأولويات المسلم وكيفية البر هو الإدارة النفسية لتنفيذ عبادة البر.

مثال: خيريّة الرجل لأهل بيته أولوية أساسية في الإسلام تتحقّق بإدارة طاقات النفس لتنفيذها التنفيذ الأمثل[2].

---

(١) نسيبة المطوع، قيادة الذات، ص٣٢.

(٢) نسيبة المطوع، قيادة الذات، ص٣٣.

المحور الثالث:
ما أهم خطوات النجاح؟

١ ـ تحديد العدو ومعرفته.

٢ ـ تحديد الهدف والأولويات.

٣ ـ تحديد الرؤية والرسالة.

٤ ـ مفاتيح تقودك إلى النجاح.

١ ـ تحديد العدو ومعرفته:

أولاً: أعداء النفس الداخلية:

١ ـ النفس الأمارة بالسوء.

٢ ـ الهوى.

٣ ـ الشيطان.

ثانياً: أعداء النفس الخارجية:

١ ـ الدنيا المذمومة.

٢ ـ رفيق السوء.

أولاً:
أعداء النفس الداخلية

١ ـ النفس الأمارة بالسوء.

٢ ـ الهوى.

٣ ـ الشيطان.

أولاً: أعداء النفس الداخلية

١ ـ النفس الأمارة بالسوء:

أول أعداء الذات الداخلية هي النفس الأمارة بالسوء[١]، ومكانها كل أنحاء الجسم، وهي تطلب الملك لتقود الذات إلى هلاكها.

وتسيطر على الجسم وعلى إدارة الذات، فتتعرف على نقطة ضعفها وكيفية سعيها إلى إذلال الإنسان وسوقه إلى الهاوية فهي لا تأمر إلا بالسوء، وإذا أعطى الإنسان مقاليد الملك للنفس الأمارة بالسوء أسرعت بتوظيف مُسْتَشارَيْنِ مُهِمَّيْنِ، هما الشيطان الذي يجري من ابن آدم مجرى الدم، والهوى الذي ترتكز مهمّته في السيطرة على اتخاذ القرار (العقل). وهي النفس التي تدعو صاحبها إلى أنواع المشتهيات التي لو اتبعها القلب وقع في الغي وانقاد إلى الباطل وإلى كل قبيح ومكروه، وهي دائمة الدعوة، لا تسأم من الأمر بتلبية الرغبة، والحض على ملذات الشهوة الحيوانية في البدن، وقد أخبر سبحانه أنها أمارة بالسوء ولم يقل آمرة لكثرة ذلك منها، وأن الأمر بالسوء عادتها ودأبها، ولذلك فإن أصحاب النفس الأمارة قوم لا يقومون إلا بما يناسب أهواء نفوسهم، فلا يرضون إلا بتحقيق ما يشتهون، ولا يغضبون إلا عندما يحرمون مما يشتهون، فإذا أُعطي أحدهم ما يشتهيه من الشهوات زال غضبه، وحصل رضاه. والنفس الأمارة فيها داعي الظلم

---

(١) المرجع السابق، ص٨٥.

لغيرها بالعلو عليه والحسد له والتعدّي عليه في حقّه، وداعي الظلم لنفسها بتناول الشهوات القبيحة كالزنا وأكل الخبائث، فهي تظلم من لا يظلمها، وتؤثر هذه الشهوات إن لم تفعلها قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣].

إذا استطاع الإنسان العاقل أن يعزل النفس الأمارة عن مستشاريها (الهوى والشيطان) ضعفت قوتّها. فتتحوّل من الشعور بالانتقام إلى الشفقة، والشفقة مصدر قوة للمسلم، قال تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ [الجاثية: ١٥].

لذا أيها الإنسان، أول طريق للتغير بعد معرفة النفس وما تهواه، أن لا تستسلم لها وتجاهدها. فالإنسان لا يستطيع أن يطردها من ذاته، كما أنه يحبها ويسعى إلى دلالها، وهي تسعى إلى إذلاله وسوقه إلى الهاوية، فالإنسان الكيّس الفَطِنُ هو الذي يتحكَّم بها فيأمرها أن تلتزم منطقة محدودة في ممتلكاتها ولا تخرج عنها مع عطائها حقوقها كاملة، ويصدر أمراً بعدم تجولها في أنحاء الجسد إلا في حدود نظام وقوانين الذات وحدود تجوالها «وإنّ لنفسك عليك حقاً».

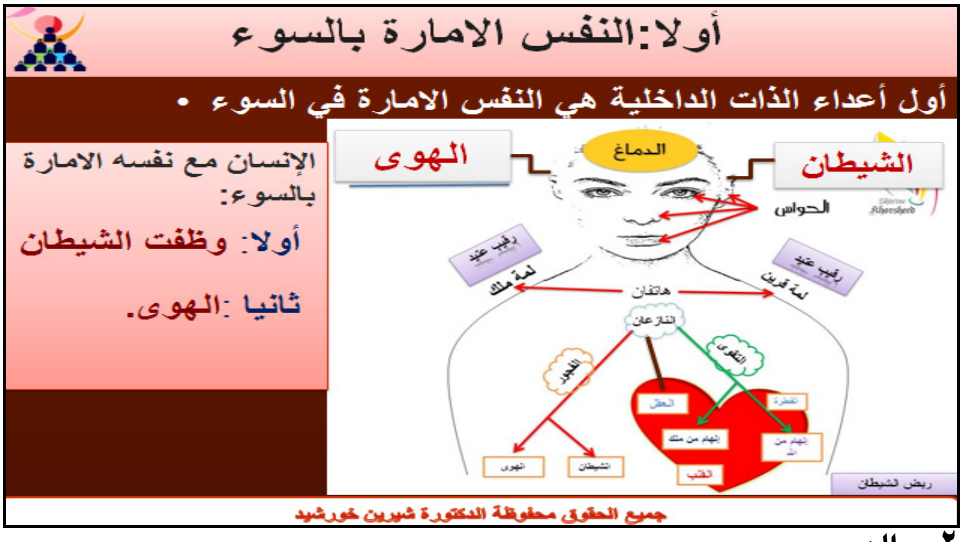

٢ ـ الهوى:

أثبت القرآنُ أنَّ النفسَ لها هوى، والهوى شعورٌ يَميلُ بِها إلى تحقيق ما تُحِبُّ مِنْ مَطالِبَ وحاجات، أو مُتَعٍ ولَذّاتٍ وشَهَوات، أو عواطف

وانفعالات، وقد يكون ما تهواه شراً لها، أو أذى أو ضرراً، مع ذلك تحبّ وتفضّل تحقيقه وتسعى إلى ذلك. قال تعالى في سورة النازعات: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

علّق د. عمر الأشقر على هوى النفس فقال[1]:

أكثر الناس تحركهم أهواؤهم، فيكون الهوى هو الدافع والباعث على العمل، وفي الوقت نفسه هو الغاية التي يسعى صاحب الهوى إلى تحقيقها، وبذلك يكون الهوى هو الإله الذي يعبده، ويطوف حوله، قال ابن عباس: «الهوى إله معبود» ثم قرأ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فصاحب الهوى متعبّد لهواه حباً وخوفاً ورجاءً ورضاً، وسخطاً وتعظيماً وذلاً، إن أحبّ أحبّ، وإن أبغض أبغض لهواه، وإن أعطى أعطى لهواه، فهواه آثر عنده، وأحبّ إليه من رضا مولاه فالهوى على ذلك مضادٌ للإخلاص ومنافٍ له، ولا يجتمع في قلبٍ إخلاص وهوى، فالمخلص متوجه إلى الله بكليته، وصاحب الهوى يدور حول نفسه، كما يدور الحمار برحاه.

والهوى عميق الجذور في النفس الإنسانية، ولذلك فإنه إذا تمكّن من الإنسان، سيطّر عليه سيطرة المقاتل على أسيره، وقد ضرب الله مثلاً للذي يتبع الهوى بما يعجز البيان عن أن يأتي بمثله:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦].

والسبب في قوة الهوى وسيطرته على النفس، أن الشهوات التي يهواها العبد مخلوطة بكيانه، وهو يشعر باللّذة الحاضرة عندما ينال هواه، وما تشتهيه نفسه، فاللذة التي يعرف طعمها، تدفعه دائماً إلى تحصيل المشتهى،

---

(١) المطوع، نسيبة عبدالعزيز، **أمراض القلوب الهوى مدمر القرار**، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص١٧٢ بتصرف.

والأمور المشتهاة تتراءى للإنسان دائماً، فهي وإن كانت في الخارج إلا إنها تتصور للعبد وتقوم في نفسه، وقد تستولي على قلبه كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [المؤمنون: ٦٣].

وعند ذلك لا يكون له همّ إلا أن يطلب تلك الصورة التي استقرت في نفسه، وسيطرت عليه، وفي سبيل تحصيل ما يهواه يبذل ماله ونفسه، ولقد حمل الهوى أصحابه على الكفر بالله ومعاداة رسله، بل حملهم على قتل الأنبياء والمرسلين: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المائدة: ٧٠].

واتباع الناس لأهوائهم أفسد دنياهم، ذلك أن أصحاب النفوذ والسلطان يقضون عمرهم في الجري وراء الملذات والشهوات، ويجاهدون في حيازة الدنيا، فيؤدي ذلك إلى ظلم الآخرين وحرمانهم من أبسط حقوقهم، فيموت الفريق الأول ويهلك بسبب التخمة، ويهلك الفريق الآخر، لأنه لا يجد ما يسدُّ به رمقه».

قال أبو الحسن الماوردي[1]: «وأما الهوى فهو عن الخير صاد، وللعقل مضاد، لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها، ويظهر من الأفعال فضائحها، ويجعل ستر المروءة مهتوكاً، ومدخل الشر مسلوكاً، ويظهر من الأفعال فضائحها».

وقال أيضاً: «ولما كان الهوى غالباً وإلى سبيل المهالك مورداً، جعل العقل عليه رقيباً مجاهداً، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته، ويدفع خداع حيلته، لأن سلطان الهوى قوي، ومدخل مكره خفي».

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله

---

(١) الماوردي، أبو الحسن، **أدب الدنيا والدين**، الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ، ص١٧ ـ ٢٣.

وعلمه، فإن كان عمله تبعاً لهواه، فيومه يوم سوء، وإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح»[1].

فالعاقل من يحكم عقله في هواه، وأعقل منه من يحكم الشرع في عقله وهواه، فعلى منهاج الشرع يسير، وبنوره يستضيء.

ولقد بيّن الله عزَّ وجلَّ أن أتباع الهوى هو طريق الضلال والانحراف، والشقاوة والإجحاف، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وروى أن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب، فأهلكوني بالاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، فهم يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون.

وعن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنّما أخشى عليكم شهوات الغيِّ في بطونكم، وفروجكم، ومضلات الهوى**»[2].

وقال بعض الحكماء: العقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ما ذكر الله عزَّ وجلَّ هوى في القرآن إلا ذمه قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ [الروم: ٢٩].

وللهوى مع العقل ثلاثة أحوال:

الأول: أن يقوى سلطان الهوى بكثرة دواعيه، حتى تستولي عليه غلبة الهوى والشهوات، فيكلُّ العقل عن دفعها، ويضعف عن منعها، مع وضوح قبحها في العقل المقهور بها، وهذا يكون في الأحداث أكثر، وعلى الشباب أغلب، لقوة شهواتهم، وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم.

---

(١) القرطبي (١٦٨/٦).

(٢) صحيح قال المنذري: رواه أحمد والبزار والطبراني في معاجمه الثلاثة.

وصاحب هذه الحالة أسير الهوى فلا يفكر إلا بهواه، ولا يعادي إلا من أجله، ولا يصادق إلا من أجله، ولا يجتهد إلا لنيله. وربما ذلة الهوى واتخذه عبداً: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

ومن تحكم فيه هواه قاده إلى الذل والهوان، والخيبة والخسران.

الحالة الثانية: أن تكون الحرب بينهما سجالاً، فمرة يجتذبه الهوى، ومرة يعود إلى رشده، فعلى صاحب هذه الحالة أن يكثر من أصدقاء الخير الذين يذكّرونه إذا نسي، وينبّهونه إذا غفل، ويرشدونه إذا جهل، وينشطونه إذا كسل، ويقوونه إذا ضعف، ويأخذون بيده إلى الصراط المستقيم، وعليه أيضاً أن يلبس درع الحرب، ويشدّ عليه سلاحه وينزل ميدان النفس؛ ليجاهد جند الهوى.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفضل الجهاد: جهاد الهوى، وقال المصطفى ﷺ: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب**»[1].

وقيل لبعض الحكماء: من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته؟ قال: من جاهد الهوى طاعة لربه، واحترس في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه.

وقال بعضهم: خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه. وعليه أن يستميت في الجهاد لأن الغنيمة ثمينة «ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنة»[2].

وعليه أن يصبر وإن طال الجهاد، فحريّ بالمجاهد أن ينتصر، وبالصابر أن يفوز، وبالراغب أن ينال.

---

(١) رواه أحمد في المسند (٦/٢١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/٣٧٧).

وعليه أن يستعين بالله على نفسه وهواه، لأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله.

وعليه أن يدعو بدعاء إمام المجاهدين ﷺ: «**نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا**»[1]، وقوله: «**اللَّهمَّ آت نفسي تقواها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها**»[2].

الحالة الثالثة: أن يتغلّب على الهوى فيكبته ويقهره، ويكبح جماحه، ويوجهه نحو الشرع فبه يستضيء، وعلى طريقه يسير، وبرسوله يقتدي، وهؤلاء هم المستقيمون الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، الذين تمثّلوا بقول النبي ﷺ: «**قُلْ آمنت بالله، ثم استقم**»[3]، وهم المقصودون بقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

ونهي النفس عن الهوى هو نقطة الارتكاز في دائرة الطاعة، فالهوى هو الدافع القوي لكل طغيان، وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوى وينبوع الشر، وقلّ أن يؤتى إنسان إلا من قبل الهوى، فالجهل سهل علاجه، ولكن الهوى بعد العلم هو آفة النفس التي تحتاج إلى جهاد شاق طويل الأمد لعلاجها.

والخوف من الله هو الحاجز الصلب أمام دفعات الهوى العنيفة، وقلّ أن يثبت غير هذا الحاجز أمام دفعات الهوى العنيفة، ومن ثم يجمع بينهما السياق القرآني في آية واحدة، فالذي يتحدّث هنا هو خالق هذه النفس، العليم بدائها، الخبير بدوائها، وهو وحده الذي يعلم دروبها، ويعلم أين تكمن أهواؤها وأدواؤها، وكيف تُطارد في مكامنها ومخابئها.

ولم يكلف الله الإنسان ألا يشتجر في نفسه الهوى، فهو سبحانه يعلم

---

(١) رواه أبو داود، حديث رقم: (٢١١٨)، كتاب: النكاح، باب: خطبة النكاح.
(٢) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٧٢٢، كتاب: الذكر، باب: ما يقول عند النوم.
(٣) رواه مسلم، حديث رقم: ٣٨، كتاب: الإيمان، باب: جامع أوصاف الإسلام.

أن هذا خارج عن طاقته، ولكنه كلّفه أن ينهاها ويكبحها ويمسك بزمامها، وأن يستعين في هذا بالخوف، الخوف من مقام ربّه الجليل العظيم المهيب، وكتب له بهذا الجهاد الشاق الجنة مثابة ومأوى: ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤١]، ذلك أن الله يعلم ضخامة هذا الجهاد، وقيمته كذلك في تهذيب النفس البشرية وتقويمها ورفعها إلى المقام الأسنى.

إن الإنسان بهذا النهي، وبهذا الجهاد، وبهذا الارتفاع، وليس إنساناً يترك نفسه لهواها، وإطاعة جواذبه، إلى دركها، بحجة أن هذا مركّب في طبيعته، فالذي أودع نفسه الاستعداد لِجَيَشان الهوى، هو الذي أودعها الاستعداد للإمساك بزمامه، ونهى النفس عنه، ودفعها عن جاذبيته وجعل له الجنة مأوى حين ينتصر، ويرتفع ويرقى[1].

ومما ذكرته الأستاذة نسيبة المطوع[2] عن سلبيّات الهوى في كتاب أمراض القلوب الهوى مدمر القرار، قالت:

سلبيّات الهوى نذكر:

١ ـ إذا كان الهوى هو الإلٰه، كان العقل في حدوده الدنيا المعطلة، وكانت الطامّة الكبرى نصيب من عَبِدَ هواه في الدارين.

٢ ـ صاحب الهوى كالكلب يلهث في كل الأوقات لا يستفيد من المعلومات النافعة المرسلة إليه، فهو على حاله لا يتقدّم أبداً.

٣ ـ اتباع الهوى يؤدي إلى الكبائر والتي من أفظعها تكذيب الأنبياء وقتلهم.

٤ ـ الهوى سيطرة على العقل واستعمار أرعن يُرغم العقل على ترك وظيفته التكليفيّة بالبحث عن الحجج السليمة التي تفيد الإنسان.

---

(١) بالي، وحيد بن عبدالسلام، **وقاية الإنسان من الجن والشيطان**، دار ابن رجب، المنصورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٢٠٧ ـ ٢١٣ بتصرف.

(٢) المطوع، نسيبة عبدالعزيز، **أمراض القلوب الهوى مدمر القرار**، سلسلة رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٩٩ ـ ٢٠١ بتصرف.

٥ ـ الهوى دليل واضح على عدم فاعليّة العقل.

٦ ـ الهوى وسيلة لمعصية الله.

٧ ـ الهوى طريق الضلالة ودليلها.

٨ ـ الهوى يؤدّي إلى الكبر وهو أحد الكبائر.

٩ ـ الهوى يبعدك عن الصراط المستقيم المؤدي إلى هدفك.

١٠ ـ الهوى في حده الأقصى يؤدي إلى الكفر.

١١ ـ اتباع الهوى طريق إلى الظلم وعدم العدل.

١٢ ـ اتباع الهوى يؤدي إلى التفريط والتقصير في حقّ الله.

١٣ ـ اتباع الهوى ظلم للنفس.

١٤ ـ لا يتّبع الهوى إلا جاهل، واتباع الهوى جهل محض.

١٥ ـ الهوى يُحفّز النفس الأمارة بالسوء للتوسع في مساحة تجوالها، وتعدّي حدودها القانونيّة والقيام بمخالفات مروريّة تضرّ بصاحبها.

١٦ ـ اتباع الهوى يسبّب انحرافاً عن الصراط المستقيم إلى الهدف المنشود لاقتراف الهوائي المعاصي وكل ما تأمر به النفس الأمارة بالسوء ومستشاراتها.

١٧ ـ الهوى يعطل القلب كمحفز قويّ لقرارات العقل الصائبة والمحبة لها.

١٨ ـ الهوائي يخرج عن الإيمان لأن الرسول [قال: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكواه هواه تبعاً لما جئت به**»].

١٩ ـ الهوائي فقير بقدرته على إصلاح الخطأ وحلّ المشكلات لأنه افتقد تقنيات حلّ المشاكل من (العفو ـ قيادة الذات ـ تلجيم النفس الأمارة بالسوء ـ طرد الشيطان ـ العدل).

٢٠ ـ يفتقر الهوائي الثبات في مبادئه فهو متقلب بآرائه وقراراته وفق ميوله[١].

٣ ـ الشيطان:

بعدما خلق الله آدم، ونفخ فيه من روحه، أمر الملائكة أن يسجدوا له. فنفذوا الأمر، وسجدوا. قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [ص: ٧١ ـ ٧٣].

وكان سجود الملائكة لآدم سجود تكريم وتحية لتشريفه عليهم بالعلم الذي علّمه الله إياه، فهو ليس سجود عبادة لآدم، ولكنه سجود طاعة لله المعبود وحده. ولقد سجد الملائكة كلّهم أجمعون لآدم، أما إبليسُ فقد رفض السجود، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

وعندما قال الله لإبليس: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾، أجاب إبليس قائلاً: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢]، قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٥ ـ ٧٦].

وجواب إبليس: (أنا خير منه) يدلّ على التكبّر والاستعلاء والغرور، والأنانيّة والافتخار، والاعتداد بالنفس، وكلّها صفات مهلكة، من خلالها يتمكّن إبليس من إغواء وإضلال ذريّة آدم، وعندما يرى إبليس الإنسان المؤمن يعبد الله ويسجد له، يندم على رفضه السجود لآدم، ندم عجز وحسرة لأن رفضه سبّب له طرد الله له من الجنة، وغضبه عليه ووعده له بعذاب النار.

---

(١) مطوع، نسيبة عبدالعزيز علي، الهوى مدمر القرار، أمراض القلوب، رؤية تربوية، الكويت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله، أُمِر ابن آدم بالسجود فسجد، فله الجنّة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار**»[1].

وأصرّ إبليس على عصيانه وكفره وتمرّده، وتعهّد لله أن يقوم بإغواء بني آدم وذريته (لأنهم السبب في إخراجه من الجنّة) ووعد أن يبذل أقصى جهده في سبيل إبعاد ذريّة آدم عن **صراط الله المستقيم**، وأخذهم إلى طريق الكفر والعصيان. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧]، وقال أيضاً: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣].

هذا هو سرّ عداوة إبليس لآدم وذرّيّته، وهذا هو العهد الذي قطعه إبليس على نفسه أمام ربه الله تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٢ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ٦٣ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ٦٥﴾ [الإسراء: ٦٢ ـ ٦٥]، يقول إبليس لربه: أرأيت آدم، هذا الذي كرّمته وفضّلته عليّ، ولعنتني بسببه، سلّطني على ذريّته، ومكّني منهم حتى أريك ماذا سأفعل بهم: لأغوينّهم، وأضلّنهم، وأحتنكنّهم، وأسيطرنّ عليهم. ومعنى لأحتنكنّ ذرّيته: لأسيطرنّ عليهم، والكلمة مأخوذة من «الحنك» وحنك الدابة هو الذي يوضع فيه لجامها ومقودها لتقاد به. فكأن إبليس يعتبر جنوده وأتباعه من ذريّة آدم، من البهائم والدواب، يضع في حَنَكِ كلٍّ منهم خطاماً وَرسَنا، يقوده به، وذاك المسكين يسير خلفه مستسلماً منقاداً ذليلاً، كما تسير الدابة خلف صاحبها.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٨١، وانظر الأحاديث الصحيحة، رقم: ٢٢.

وقد سلّط الله إبليس على ذريّة آدم، ومكّنه منهم وجعل له مجالاً لإغوائهم والوسوسة لهم، وذلك ابتلاءً وامتحاناً لهم.

ومن أسلحة الشيطان في إغواءبني آدم، التي ذكرتها الآيات:

١ ـ ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] إنّ إبليسَ يؤثّر في جنوده بصوته، حيث يزعجهم ويستفزّهم به. قال الراغب في الاستفزاز بالصوت: والاستفزاز هو الإزعاج والتأثير. يقال: استفزّه بصوته، أي: أزعجه بالصوت. وصوت الشيطان هو كلُّ الأصوات والعبارات المحرّمة التي تنتشر في حياة النّاس، بهدف التأثير فيهم، ودعوتهم إلى التخلّي عن منهاج الله، وارتكاب ما نهى الله عنه. وما أكثر هذه الأصوات الشيطانية الصاخبة المجلجلة في هذا الزمان.

٢ ـ ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] إبليس يجلب على أتباعه وجنوده، ويسوقهم أمامه، ويصبح عليهم، كالراعي الذي يجلب على غنمه، ويسوقها أمامه، خيل الشيطان فرسانه الذين يركبون الخيول ويسمّون الخيالة. ورَجِلُ الشيطان: جمع راجل، وهم المشاة الراجلون الذين يمشون على أقدامهم.

٣ ـ ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤] إنه يشارك حزبه في أموالهم وفي أولادهم. الأموال جمعها من حرام وإنفاقها في حرام والأولاد بأن لا يراعوا منهج الله في الزواج والتناسل، فلا يكون الزوج ولا الزوجة من الصالحين، ولا يقيمون أسرتهم على منهاج الله، ومن ثمّ لا يكون أولادهم صالحين، وإنما يكونون فاسدين ضائعين، أسرى للشيطان.

٤ ـ ﴿وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء: ٦٤] إنّ إبليس يَعِدُ جنوده الوعود الفارغة، ويُمنيّهم الأماني الخيالية. قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا

غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [النساء: ١١٩ ـ ١٢٠]، ورغم كثرة الأسلحة في إغواء جنده من ذرية آدم فإنه عاجز عن إغواء عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وإبليس يعلم عجزه عن التأثير في عباد الله الصالحين[١].

تعرّف إلى عدوّك الجن:

والآن وبعد أن عرفت سِرّ عداوة الجن لآدم وذريته اكتشفت مدى حقده على هذا الإنسان الذي قبل ميثاق ربه، وقبل أن يكون خليفة في الأرض، ماذا ستفعل لحماية نفسك من شرّ الشيطان وجنده؟ ومن هو هذا العدوّ اللئيم الذي سيتحدّاك ويغويك ويبهرك بمفاتن الدنيا لتبتعد عن عمل كل ما ترضي الله به؟

تعال يا عزيزي نتعرّف معاً إلى الجن، إبليس وذريته وجنده!

«إبليس» هو من الجن وبسبب رفضه السجود لآدم عليه السلام، وعصيانه لربه هو أول من كفر بالله ورفض أوامره، وتمرّد عليه، ولأنه تمرّد على الله أطلق عليه وصف الشيطان.

والشيطان صفة مشتقة، واشتقاقه من شَطَنَ ومعنى الشطن: الابتعاد.

ووصف إبليس بذلك لتشطينه، وابتعاده بذلك عن رحمة الله وكرامته، واستحقاقه الاحتراق بالنار في جهنّم، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢]، فجعل الله عزَّ وجلَّ من الإنس شياطين مثل ما جعل من الجن.

كيف تَتجِهُ النّفسُ إلى الخطيئة؟

تعرَّفْنا إلى ما فَطَرَ الله الإنسان عليه، وكيف جعل له إرادة حرّة ذات

---

(١) الخالدي، صلاح، **القصص القرآني**، دار القلم، دمشق، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الطبعة الثانية، الجزء الأول، ص١١٦ ـ ١١٩.

سلطان، وما فطر النفس عليه من إلهامها فجورها وتقواها، يضاف إلى ذلك العقل الذي يعقل ويميّز بين الحق والباطل وبين الخير والشر، والفضيلة والرذيلة.

يضاف إلى ذلك، لَمّةُ مَلَكٍ من ملائكة الرحمٰن يأمره بالخير من داخل نفسه ويحثّه عليه. فقد وكّل الله بكل إنسان قريناً من الملائكة، وقريناً من الجِنّ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرين من الجن وقرين من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بالخير**».

فالْمَلَكُ يأمره بالخير ويحثّه على اتباع شريعة الله وما فيها من مواعظ ووصايا، ووعد ووعيد.

أما القرين من الجن فهو نازع مشجّع على الاستقلال وحب الخروج عن الطاعة والتبعيّة، وأهواءٌ تُلِحُّ بِمَطالب لا تَتِمُّ تلبيتها إلا بالانحراف عن صراط الهداية، وبارتكاب السيئات. ويضاف إلى ذلك شيطان يوسوس من داخل النفس يأمر بالفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

الشيطان ومدى تأثيره في حياة الإنسان:

الشيطان فقط يوسوس في صدر الإنسان بالشر، ويزيّن له ارتكاب الخطيئة، ثمّ إنّ الإنسان هو الذي يرتكب الخطيئة بإرادته، لذا يعتبر مسؤولاً عنها مسؤولية تامة.

قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾﴾ [الحج: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ١٠٠].

أما الحقيقة الثابتة فهي أنّ الله وتعالى جعل الشيطان في حياة الإنسان لإقامة التوازن بين دوافع الخير ودوافع الشر والمحرضّات عليهما، وليطرح الإنسان عليه قسماً من مسؤولية الخطيئة التي يقع بها، فيجد لنفسه عذراً بأنّ فعل الشر ليس من فطرته، وإنما كان بتأثير وساوس قرينه الشيطان الملازم له.

ما طرق الشيطان في إضلال الإنسان[1]:

ورد في طرق إضلال الشيطان للإنسان ما يلي:

١ ـ تزيين الباطل:

إن الباطل له صورة قبيحة ورائحة تنتنة، ولذلك يعمد الشيطان إلى هذا الباطل فيغطيه بغطاء جميل، ويلبسه رداءً حسناً، ثم يزينه ويحسنه، ثم يبدأ في إغواء العبد به، وما علمنا ذلك إلا من قول الشيطان، نفسه حين قال لربه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر: ٣٩].

٢ ـ تسمية المعاصي بأسماء محبّبة:

ومن صور هذا التزيين تسمية الفواحش والمعاصي بأسماء محبّبة إلى النفوس لكي يخفى خبيثها وفحشها، ومثال على ذلك نقول إنّ الشيطان هو مَنْ سمَّى الشجرة بشجرة الخلد: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [طه: ١٢٠].

---

(١) بالي، وحيد بن عبدالسلام، وقاية الإنسان، من الجن والشيطان، دار ابن رجب، القاهرة فرع المنصورة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٦م، الطبعة الحادية عشر، ص١٥٢ ـ ٢٢٣ بتصرف.

٣ ـ تسمية الطاعات بأسماء منفّرة:

دور الشيطان هو تقبيح صورة الحقّ، وتشويهها وتسميتها بأسماء منفّرة لإبعاد الناس عنها. مثال على ذلك حين قال الكفار من قوم عاد لنبيهم هود عليه السلام: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦]. وغيرها من الآيات.

٤ ـ دخول الشيطان إلى النفس من أحب الأبواب إليها:

ومما ورد في كتاب إغاثة اللهفان: «وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه على ابن آدم، فإنه يجري منه مجرى الدم، حتى يصادف نفسه ويخالطه، ويسألها عما تحبه وتُؤْثِره، فإذا عَرِفه استعان به على العبد، ودخل عليه من هذا الباب، وكذلك علّم إخوانه وأولياءه من الإنس إذا أرادوا أغراضهم الفاسدة مع بعضهم بعضاً، أن يدخلوا عليهم من الباب الذي يحبونه ويهوونه، فإنه باب لا يُخْذَلُ عن حاجته من دخل منه، ومن رام الدخول من غيره فالباب عليه مسدود وهو عن طريق مقصده مصدود[1].

٥ ـ التدرج في الضلال:

إن الشيطان لا يأتي للإنسان ويقول له: افعل هذه المعصية أو ارتكب هذه الفاحشة. وإنما يقربه منها خطوة خطوة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [النور: ٢١].

٦ ـ الصدّ عن الحقّ:

أخذ الشيطان على نفسه عهداً، ليضلّن بني آدم، وَلَيُغْوِيَنّهم أجمعين إلا من اعتصم منهم بالله تعالى وتحصّن بحصن الإخلاص، فذلك لا سبيل للشيطان إليه. قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ

(١) إغاثة اللهفان، ص١١٢.

لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧].

٧ ـ إظهار النصح للإنسان:

إن الشيطان لا يأتي الإنسان ويقول له: افعل كذا من المعاصي، لكي تنال العذاب الأليم، وإنما يأتيه في صورة ناصح أمين.

٨ ـ الاستعانة بشياطين الإنس:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

مداخل الشيطان[1]:

إن تساءلنا عن مداخل الشيطان إلى النفس الإنسانية وقدرته في السيطرة عليها لإضلالها ولإبعادها عن طريق الحق، نقول: إنّ هناك مداخل عديدة نذكر منها:

١ ـ الجهل: قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤].

الجهل يطمس القلب ويعمي البصيرة، ومن هنا يكون الجاهل للشيطان، غرضاً فيوجه إليه سهام الشُّبُهات وسموم الشهوات، فيرديه قتيل الهوى أسير الشهوة، فإذا وصل إلى تلك الغاية، اتخذه الشيطان جنداً ينشر به الفساد في الأرض، ويصد به الناس عن الحق، وبهذا يصير من حزب الشيطان ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: ١٩].

٢ ـ الغضب: الغضب من مداخل الشيطان الكبرى ومكائده العظمى، لأن الشيطان يلعب بالغضبان كما يلعب الأطفال بالكرة، وقد يقوده إلى

---

(١) بالي، وحيد بن عبدالسلام، **وقاية الإنسان من الجن والشيطان**، ص١٦٥ ـ ١٩٢ بتصرف.

الشجار مع الناس كما قد يقوده إلى ارتكاب ما لا يحمد عقباه من خراب للبيوت، أو قتل أو سرقة أو ارتكاب فاحشة.

٣ ـ حب الدنيا: قال تعالى على لسان الشيطان وطريقة إضلاله الناس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩﴾ [الحجر: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

٤ ـ طول الأمل: إنّ العبد إذا طال أمله سَوَّفَ (أُجَّلَ وأَخّر طامعاً بالغد والمستقبل) في عمله، وعمّرَ دنياه، وخرَّب أخراه.

وبيّن رسول الله ﷺ للصحابة قصر أجل الإنسان، مع طول أمله مستعيناً في ذلك بالرسم الهندسي. ففي صحيح بخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ النبي ﷺ خطّاً مربعاً، وخطّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخط خُطُطاً صغاراً إلى هذا الذي في الوَسَط من جانبه الذي في الوسط، وقال: «**هذا الإنسان وهذا أجله محيط به ـ** أو **قد أحاط به ـ وهذا الذي هو خارجٌ أَمَلُهُ، وهذه خطوط الصغار الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[(١)].

(١) رواه البخاري، عن عبدالله بن مسعود، حديث رقم: ٦٤١٧، كتاب: الرقاق، باب: الأمل وطوله.

والمقصود أن على الإنسان أن لا يؤجل العمل المطلوب منه إلى المستقبل طمعاً بالوقت وبتحسّن الوضع فلا أحد يعرف متى أجله، ولا يعرف ماذا يحمل له الغد من أعمال أو آفات أو مصائب...

٥ ـ الحرص: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»(١).

٦ ـ البخل: قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فالله ينعم على العبد بالعطاء ويطلب منه الزكاة والصدقة، فإن بخل خوفاً من الفقر، كما يوسوس له الشيطان يخسر التمتع بماله في الدنيا ويخسر مغفرة الله ورحمته به في الآخرة.

٧ ـ الكِبْر: وهو رفض الحق (رفض الاعتراف بالله الحق الأزلي، ونكران قدرته على الخلق والحساب) والإصرار على الباطل، والمتكبر جاهل لا يعرف حقيقة نفسه ولا حقيقة ربه.

قال تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦].

أنواع المتكبرين:

١ ـ من الناس من يتكبّر بملكه أو بمكانته الاجتماعية ويقوّي هذا الكبر، ويعظّمه كثرة مديح المتقربين، وإطراء المتملّقين.

٢ ـ ومن الناس من يتكبّر بماله، كصاحب الجنتين.

٣ ـ ومن الناس من يتكبّر بقوته وصحته.

٤ ـ ومن الناس من يتكبّر بجماله وحسن صورته.

---

(١) رواه الترمذي، حديث رقم: ٢٣٦٧، كتاب: الزهد، باب: ٤٣.

ومن مظاهر الكبر:

١ ـ ردُّ الحق: ومن مظاهر الكبر أن يتبيّن للإنسان خطؤه ولا يرجع إلى الحق ولا يقبله.

٢ ـ ومن مظاهر الكبر: احتقار الناس وازدراؤهم والتعالي عليهم، قال رسول الله ﷺ: «**الكبر بطرُ الحق وغمطُ الناس**»(١).

٨ ـ حب المدح:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: «**أهلكتم ـ** أو **قطعتم ـ ظهر الرجل**»(٢).

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن رجلاً ذُكر عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجل خيراً فقال النبي ﷺ: «**ويحك قطعت عنق صاحبك** ـ يقول مراراً ـ **إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أحسب فلاناً والله حسيبه ولا أزكي على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه**»(٣).

٩ ـ الرياء:

إن الرياء باب فسيح من الأبواب التي يلج الشيطان منها إلى قلب الإنسان، قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر**»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «**الرياء، يقول الله عزَّ وجلَّ إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟!**»(٤).

---

(١) صحيح مسلم، حديث رقم: ٩١، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر وبيانه.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٦٦٣، كتاب: الشهادات، باب: ما يكره من الإطناب في المدح، ورواه مسلم، حديث رقم: ٣٠٠١، كتاب: الزهد، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه فرط.

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٦٦٢، ورواه مسلم، حديث رقم: ٣٠٠٠.

(٤) رواه أحمد في المسند ٤٢٨/٥.

وقال رسول الله ﷺ: «**إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه نِعَمةُ، رجل استشهد فأُتي به فعرّفَهُ، فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت، لأن يقال: جريءٌ. فقد قيل: ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى أُلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعَلَمَهُ وقرأ القرآن فأتى به فعرّفه نعمته فعرفها، قال: فما فعلت فيها؟ قال: تعلّمت العلم، وعلّمته، وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلّمت ليقال عالم، وقرأت ليقال هو قارئ، فقد قيل، ثمّ أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأتي به فعرّفه نعمته فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقيل: ثم أمر به فسحب على وجهه، حتى ألقي في النار**»[1].

١٠ ـ العجب:

العُجْب يختلف عن الكبر، فالكبر له ثلاثة أركان: متكبر، ومتكبر به، ومتكبر عليه، والعُجب ليس له إلا ركنان اثنان: معجب ومعجب به فقط، ولكن العجب هو الدرجة الأولى في سلم الكبر فنعوذ بالله منها.

والعُجب هو استعظام النعمة والركون إليها، مع نسيان إضافتها إلى المنعم.

والعجب أنواع: فمن الناس من يعجب بصحته وقوّته وتناسب أعضائه وحسن صورته، فليعلم أن ذلك من نصيب الدود وأن كل من عليها فان.

ومن الناس من يعجب بعقله وفطنته واستكشافه لبطائن الأمور الدينية والدنيوية، وثمرة هذا العجب أن تجده مستبداً برأيه متسجهلاً لغيره مُعرضاً عن سماع آراء الآخرين، فليفكر هذا العاقل فيما لو ابتلاه الله بمرض في دماغه لجَنَّ عقله، وطار لبه، وذهب فكره، فليحمد الله على العاقبة وليشكره على النعمة.

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٩٠٥، كتاب الجهاد، باب: من قاتل للرياء السمعة استحق النار.

ومن الناس من يعجب بنسبه ويظن أنه ناج لا محالة، أليس هو ابن فلان المنسب من الحسن أو الحسين؟ فليعلم هذا الغافل أن من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه وأن النبي ﷺ نادى أقرب الناس إليه «**يا فاطمة: اعملي، فإني لا أغني عنك من الله شيئاً**»(١).

ومن الناس من يعجب بكثرة أولاده وأهله وعشيرته وهذا يكفيه قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧]، فأي عجب بمن يتركك في أشد أحوالك! ويهرب منك في أحرج أوقاتك!.

ومن الناس من يعجب بماله وغناه فليقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فَاطِر: ١٥]، وقول رسوله ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلةٍ تعجبه نفسه مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٢).

ومن الناس من يعجب بعبادته، وهذا إنما أوتي جهله، لأنه لا يدري أقبلت عبادته أم لا؟

١١ ـ الجزع والهلع:

إن الجزع من مراكب الشيطان التي يُحمل بها الإنسان في بحار الخيالات والأوهام، حتى يكبَّهُ في محيط الحيرة والأحزان.

أما المؤمن فإنه يركب مراكب الصبر، ويخوض بها في بحار الرضا والتسليم، حتى يصل إلى محيط الفرج وهناك سيجدُ بَرَّ الأمان.

أما عن أسباب الجزع فيقول أبو الحسن الموردي: منها تذكّر المصاب حتى لا يتناساه، وتصوّره حتى يعزب عنه ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخلط مع التصور تعزية. وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تستفزوا الدموع بالتذكر.

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢٧٥٣، كتاب الوصايا، باب: هل يدخل النساء، والولد في الأقارب.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٥٧٨٩، كتاب اللباس، باب: من جر ثوبه من الخلاء.

ومنها الأسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفاً، ولا يجد لمفقوده بدلاً، فيزداد بالأسف ولها، وبالحسرة هلعاً، ولذلك قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

ومنها كثرة الشكوى وبث الجزع، فقد قيل في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المعارج: ٥]، إنه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بثّ.

وحكى عن أعرابية دخلت من البادية، فسمعت صُراخاً في دار، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: مات لهم إنسان، فقالت: ما أراهم إلا من ربهم يستغيثون، وبقضائه يتبرّمون، وعن ثوابه يرغبون.

ومنها اليأس ممن جبر مصابه، ودرك طلابه، فيقترن بحزن الحادثة، قنوط الإياس فلا يبقى معها صبر، ولا يتسع لهما صدر.

ومنها أن يغري بملاحظة من حيطت سلامته، وحرست نعمته حتى الْتَحَفَ بالأمن والدعة، واستمتع بالثروة والسعة، ويرى أنه قد خص من بينهم بالرزية بعد أن كان مساوياً، وأفرد بالحادثة بعد أن كان مكافياً، فلا يستطيع صبراً على بلوى، ولا يلزم شكراً على نعمى، ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في الرزية، وساواه في الحادثة لتكافأ الأمران فهان عليه الصبر، وحان منه الفرج.

ولما كان الجزع والهلع فطرة في الإنسان بها خُلق وعليها جُبل، فقد أرشدنا الله إلى طريق التخلّص منها، بقوله: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

١٢ ـ اتباع الهوى:

إن الله تبارك وتعالى عندما رَكَّب الهوى في الإنسان خلق له عقلاً، ليكون عليه أميراً وله قائداً.

قال بعض الشعراء:

يا عاقلاً أردي الهوى عقله ... مالك قد سدت عليك الأمور
أتجعل العقل أسر الهوى ... وإنما العقل عليه أمير

١٣ ـ سوء الظن:

إن سوء الظن من الفخاخ التي يصطاد بها الشيطان قلوب العباد؛ لأن سوء الظن من عوامل تفكيك الجماعات، وإفساد العلاقات، وتقطيع أواصر المحبة، وفي هذا الجو المظلم يستطيع الشيطان أن يعمل عمله، وينفذ خطته، فيصطاد المسلمين واحداً تلو الآخر؛ لأنهم تفرقوا ولم يجتمعوا، وتفككوا ولم يعتصموا، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب منكم أن ينال بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد**»(١).

ولذلك يجتهد الشيطان في التفريق بين الأحبة، وتشتيت الصحبة، ولكن النبي الرحيم صلوات الله وسلامه عليه نبهنا إلى هذا المدخل الخبيث من مداخل اللعين فقال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً**»(٢).

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: ٢١٦٥، كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٥١٤٣، كتاب النكاح، باب: لا يخطب علي خطبة أخيه.

١٤ ـ احتقار المسلم:

إن احتقار المسلم والسخرية من أعظم الذنوب عند الله تعالى، ولذلك يقول النبي ﷺ: «**بحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**»(١)، حتى وأن وقع من المسلم شيء خارج عن الآداب الاجتماعية ـ يجب أن يلتمس له الأعذار ـ.

ففي صحيح البخاري: عن عبدالله بن زمعة قال: «نهى النبي ﷺ أن يضحك الرجل مما يَخْرُجُ من الأَنفُس»(٢)، يعني ـ الفساء والضراط ـ بدليل الرواية الأخرى للبخاري: من حديث عبدالله بن زمعة أيضاً ثم وعظهم في الضرطة فقال: «**لِمَ يضحك أحدكم مما يخرج منه؟!**»(٣).

فيجب أن يكون الاحترام والتقدير متبادلاً بين أفراد المجتمع المسلم ولذلك قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات: ١١].

وما قاله القرطبي رحمه الله: في التفريق بين بغض الذنب وبغض المذنب دقيق فعلاً، فلما ينتبه إليه كثير من العلماء فضلاً عن غيرهم، ويؤيده قول النبي ﷺ: «**فَوَالذي لا إلٰه غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(٤).

---

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ٢٥٦٤، كتاب البر والصلة، باب: تحريم ظلم المسلم.

(٢) رواه البخاري، حديث رقم: ٦٠٤٢، كتاب الأدب، باب: قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: ١٠٤].

(٣) رواه البخاري، حديث رقم: ٤٩٤٢، كتاب: تفسير سورة الشمس.

(٤) رواه البخاري، حديث رقم: ٣٢٠٨، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة.

ولكن ربما استشكل فهم هذا الحديث على البعض، والمعنى والله أعلم أن الرجل يُظهر الأعمال الصالحة للناس وإن قلبه ملئ بالرياء والنفاق، فالظاهر للناس أنه يعمل بعمل أهل الجنة، ولكن الله يعلم ما أخفى عنهم من خبث باطنه، ولذلك يختم له بعمل سيئ، والأعمال بالخواتيم!

وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار من الذنوب والمعاصي وغيرها، ثم يتوب توبة صادقة خالصة ويبدأ مع الله عهداً جديداً مليئاً بالطاعات والقربات، فيقبل الله توبته، لعلمه بإخلاص نيته، وصفاء قلبه، ويختم له بعمل صالح، والأعمال بالخواتيم.

١٥ ـ احتقار الذنوب:

ومن مداخل الشيطان أيضاً أنه يأتي للمسلم ويقول له: هذا ذنب صغير، هذا هيّن، حتى يوقعه فيه، فبالتهاون ارتكبت كثير من الذنوب، وانتهكت حرمات الله. ولكن المسلم العاقل يحترز من الذنوب صغارها وكبارها، لأن اقتراف الصغيرة يجر إلى الكبيرة، بل إن الصغائر إذا جتمعت على الرجل أهلكته.

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعودٍ، وذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تُهلكه**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر، صُقِلَ قلبه، فئن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، فهو الرّان الذي ذكره الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾** [المطففين: ١٤]»[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/٢٣١.

(٢) رواه الترمذي، حديث رقم: ٣٣٣٤، كتاب التفسير، باب: ومن سورة ويل للمطففين.

وعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إنّ الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1].

بل إن التهاون بالذنوب من علامات ضعف الإيمان، لأن العبد كلما قوي إيمانه زاد خوفه، واشتد تحرزه من الذنوب، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، إنّا كنا لنعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات قال البخاري رحمه الله: يعني بذلك المهلكات[2].

وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى عظم من عَصَيْتَ، ولقد بلغ من شدّة تحرّز الصحابة ـ وهم أقوى هذه الأمة أيماناً، وأتقاها قلوباً ـ أنهم كانوا يخافون النفاق على أنفسهم.

١٦ ـ الأمن من مكر الله:

من الناس من يقيم على المعاصي، فإذا نصحته ردّ عليك بقوله: «الله غفور رحيم» ولقد نسي هذا المسكين أن عذابه هو العذاب الأليم فقد قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠]، فالله غفور للتائبين رحيم بالمؤمنين، ولكن العاصين لهم عذاب أليم، فلا تغتر أيها العبد برحمة الله ولا تأمن مكره ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

فلا بدّ للنفس من خوف يردعها عن المعاصي ويصدّها عن المحارم، بل إن المؤمن كلّما ازداد إيماناً، ازداد خوفاً وشفقة على نفسه، ولذلك حكى الله عزَّ وجلَّ عن المؤمنين في الجنة قولهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾ [الطور: ٢٦ ـ ٢٧].

---

(١) رواه ابن ماجه، حديث رقم: ٤٠٢٢، كتاب الفتن، باب: العقوبات.
(٢) فتح الباري ٣٢٩/١١.

١٧ ـ القنوط من رحمة الله:

فإذا لم يستطع الشيطان أن يدخل للعبد من باب الأمن من مكر الله شدّد عليه الأمر حتى ييأس ويقنط من رحمة الله، فيقول له: إن ذنوبك كثيرة وعظيمة لا يمكن أن تغفر، ولا يمكن أن تدرك رحمة الله، فيظل خلف العبد حتى يقنط، فإذا قنط قال له: إذاً فتمتع من الدنيا بما تشاء قبل الموت ما دمت داخلاً النار لا محالة، بهذه الطريقة يستدرج العبد حتى ينطلق في المعاصي والشهوات ليقضي نهمته منها.

فعلى العبد أن يسدّ هذا المدخل بتذكّر رحمة الله التي وسعت كل شيء، فالله يقبل توبة الكافر إذا تاب وأسلم فكيف لا يقبل توبة المسلم الذي أذنب؟!

وقد فتح الله باب التوبة لكل عباده وأطمعهم في رحمته فناداهم ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

يعلم الله سبحانه عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصية حتى يهيئ له جميع الوسائل؛ ليصلح خطأه، ويقيم خُطاه على الصراط المستقيم[١].

(١) بالي، وحيد عبدالسلام، **وقاية الإنسان من الجن والشيطان**، دار ابن رجب، المنصورة، الطبعة الحادية عشر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٦٥ ـ ٢٢٣، باب: مداخل الشيطان.

ثانياً:
أعداء النفس الخارجية

١ ـ الدنيا المذمومة.

٢ ـ رفيق سوء.

١ ـ الدنيا المذمومة

القلب يتعلّق بأنواع الشهوات ونازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات(١):

الشهوة نزوع النفس إلى ما تريده، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٤].

لقد خلق الله تعالى في الإنسان حبّ الشهوات لحكمة هي ابتلاؤهم في الحياة الدنيا، ومحاسبتهم يوم الميعاد. وجعل تدرّج هذه الشهوات بحسب تعلّق الإنسان بها وبحسب تقدير حاجته إليها، فأتى ذكرها كالتالي:

١ ـ النساء.

٢ ـ الأولاد.

٣ ـ الذهب.

٤ ـ الفضة.

٥ ـ الخيل.

٦ ـ الأنعام.

٧ ـ الحرث.

---

(١) الرضواني، **منة القدير**، ١٤٩ ـ ١٥٩ بتصرف.

ويبرز الاشتهاء عند الإنسان، حين تكون خواطر القلب عنده متعلّقة بالدنيا دون الآخرة، وناشئة عن هوى النفس وعن نازع الشر الراغبين في الدنيا والساعين إلى تحصيل أكبر قسط من متاعها. وقد بيّن الله عزَّ وجلَّ في قوله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾﴾ [الحديد: ١].

ولئن كان نازع الشر هو مصدر خواطر الشهوات في الإنسان، وغايته وبغيته متاع الحياة الدنيا، فإنّ الهوى يدفع النفس ونازع الشر فيها إلى التعلّق بمتاع الحياة الدنيا وبمشتهياتها حتى يصبح الإنسان عبد هواه كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

ولنعلم أن هوى القلب يتعلّق بأنواع المشتهيات، وعلل الاشتهاء متعدّدة ومختلفة باختلاف الأزمان والأماكن ونذكر منها:

عند العصاة: اللعب واللهو.

اللعب ما تشتغل به ولا يكون فيه ضرورة في الحال ولا منفعة في المآل، وسميت لعب لأنها تلعب بها الأبدان وتلهو بها القلوب، مثال: لعبة النّرد (الطاولة)، ولعبة الزهر (البرجيز)، ولعبة الورق (الشدّة) وغيرها.

أمّا اللهو: فلا يزال العبد لاهياً في ماله وأولاده وزينته، ولذاته من النساء، والمآكل والمشارب، والمساكن والمجالس، والمناظر، حتى يمضي عمره وهو في غفلة، وعند لحظة الموت يندم حيث لا ينفع الندم، وقد يقضي عمره متنقّلاً من عمل إلى آخر، أو لاعباً في كل عمل لا فائدة فيه، بل هو دائر وتائه بين البطالة والغفلة والمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا

شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنعام: ٧٠].

ولمّا كانت الدنيا ضرورة ووسيلة إلى الآخرة، فإنّ كل خاطر تعلّق بأنواع المشتهيات وجعلها المؤمن وسيلة إلى الآخرة وعمل في أسباب الطاعة المؤديّة إليها، فهو من نازع الخير، وهو توفيق من الحق إلى التقوى وزيادة الإيمان. وكلّ خاطر تعلّق بأنواع المشتهيات وجعلها الإنسان وسيلة إلى حبّ الدنيا والتعلّق بها فهو من نازع الشر في الإنسان وأساس الفجور والعصيان.

وأما امتحان الله للإنسان بالهوى من بين سائر البهائم فلئنّ الله عزَّ وجلَّ جعل في الإنسان حاكمان: حاكم العقل، وحاكم الدين.

وصاحب الهوى يأمره هواه ويدعوه فيتّبعه كما تتّبع حركات الجوارح إرادة القلب: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

مذاهب الناس في الشهوات والاشتهاء[1]:

أولاً: مذهب المغالين الغافلين الجاهلين الذين يتقلّبون في الشهوات ويتلوثون بتبعاتها بإرادة منهم وإصرار غافلين عمّا دُعوا إليه من الحق واليقين: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٦].

وهم الذين أخلدوا إلى الأرض، قال تعالى فيهم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾﴾ [البقرة: ١٧٦].

وهؤلاء رتبتهم كرتبة الأنعام أو أضل، وهم الذين قال تعالى فيهم:

---

(١) الرضواني، **منة القدير**، ١٥٥ ـ ١٥٧ بتصرف.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤].

ثانياً: مذهب المغالين في محو الشهوات والقائلين نشتهي ألاّ نشتهي.

هؤلاء مخالفون للسنّة لأن الشّهوة ابتلاء وضرورة، ولا يمكن تحقيق الحكم العليا في توحيد العبودية إلا من خلال الأخذ بالأسباب الشرعيّة التي أمر الله بها وهذه سنّته.

ثالثاً: مذهب السَّلف والاعتدال القائلون نحن نشتهي ولكن نحتمي، ونستغفر ونتوب إليه تعالى فهو غفّار الذنوب، فهم لا ينكرون وجود الشهوة والرغبات في أنفسهم، ولكن المسلم يعلم أنها ابتلاء لا بد أن يخضع فيه لشرع الله، روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها نكت في قلبه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت في قلبه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخّياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً لا ما أشرب من هواه**»[1].

(١) رواه مسلم، حديث رقم: ١٤٤، ١٢٨/١، كتاب الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً.

٢ ـ رفيق السوء

من مصائب الناس الكبرى أن يقع في فخ صحبة السوء حيث التربة البيئية خصبة جداً لتنشيط كل الأعداء في الداخل والخارج فتتكالب أعداء الذات الداخلية (النفس الأمارة بالسوء ـ الهوى ـ شيطان) مع أعداء الذات الخارجية (الدنيا المذمومة ـ رفيق السوء) لتكون نهاية الإنسان المخيفة في الدارين والعياذ بالله.

ويمكن تعريف رفيق السوء:

بأنه مساحة زمنية ومساحة مكانية لتصدير الفكر السيء للمرافق له عن طريق إجراء جراحة تجميلية للقبيح وتزيينه لصاحبه حتى تختلط الرؤية للسائر على الطريق فيرى العائق عن التقدم محفزاً للإنتاج والعمل فيقع في مصيدة الفئران الممثلة بالمعاصي التي نهانا الله تعالى عنها، فلا يقوى ذلك السائر على النجاح بعد ذلك لأنه ما زال في مصيدة المعاصي، وتتبلور مشكلة رفيق السوء بأنه يجمل القبيح فيسهل للمصاحب له عمل شيء كان في السابق يصعب عليه إنجازه.

ومهمة رفيق السوء: تصدير الفكر السيء إلى الآخرين وتخريب العقول المصاحبة له.

ويعتبر صديق السوء أخطر عدو للإنسان لأنه يفعل أدوار الأعداء

الأخرى، فهو وكر لتجمع الأعداء، فهو يعتبر الأعداء الخمس مجتمعين مع بعضهم البعض وقد توحّدت أهدافهم ثم جهودهم للانتصار عليك بشراسة رفيق السوء، فالأعداء الخمس هي النفس الأمارة بالسوء والشيطان والهدى والدنيا المذمومة وهو (رفيق السوء)[1].

(١) نسيبة المطوع، قيادة الذات وإدارتها، ص٤٥ ـ ٤٦ بتصرف.

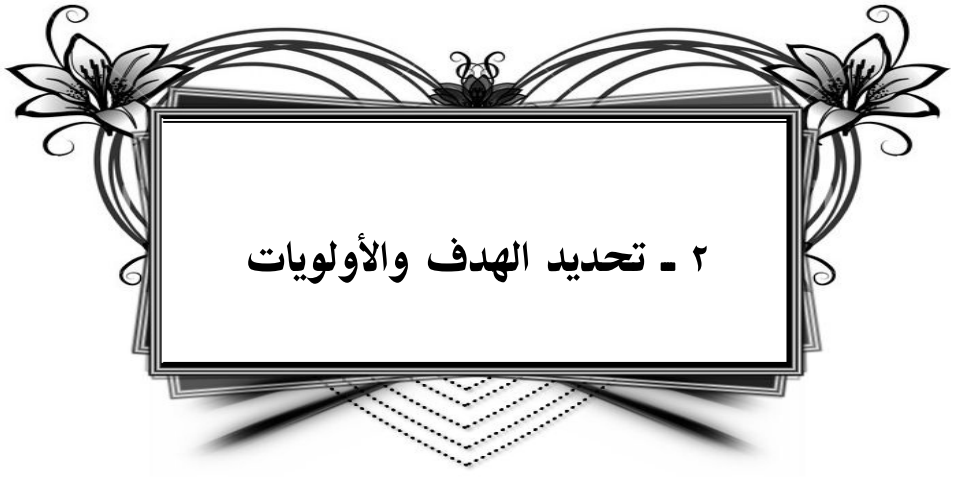

٢ ـ تحديد الهدف والأولويات

- **تحديد الهدف:**

تعريف الهدف:

- هو ما يسعى إليه الفرد من أجل تحقيق غاية مرجوة.
- الهدف هو الموجّه لسلوك الفرد وهو ما يشبه الدافع لسلوك الفرد. ويكون في المادة شيئاً خارجياً يتّجه إليه.
- الهدف هو النتيجة النهائية التي يسعى إليها الفرد.

شروط الهدف:

ـ أن يكون الزمان محدداً.

ـ أن يكون واقعياً.

ـ قابلاً للتحقيق.

ـ محدداً وقابلاً للقياس، مثال: أريد أن أصلي ركعتين قيام ليل يوم الاثنين والخميس.

الهدف هو كل شيء عظيم مرتفع وهو الغرض والمقصد القريب الموصل إلى الغاية. فالغاية هي المقصد البعيد والهدف المقصد القريب.

- من خصائص الهدف أنه يقود، ويوجّه ويرشد السلوك الإرادي لغرض الوصول إلى المسعى وتحقيقه، فلولا تلك القيادة، وذلك الإرشاد

الوجيه للفعل والحركة لانتاب العمل الإنساني تعثّرات وفوضى، ويصبح السلوك لا يحقّق الغاية المبتغاة المحدّدة، ويغدو النشاط وبذل المجهود لا يعني أي شيء ويتساوى حينذاك النشاط وعدمه في القيمة.

أولاً: لأنَّ ترتيب الأولويات والبدء بالأهم فالأهم هو منهج الإسلام ومطلب شرعي في الإصلاح والتغيير وبناء الأفراد والمجتمعات.

ألا ترى أنَّ شريعتنا تُقدم أمورَ العقائد على غيرها من أمور العبادات والأخلاق، ويقدَّم الفروض والواجبات على المندوبات والنوافل، وتقدَّم المصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض، ونهتم بالضروريات قبل الحاجيات، وبالحاجيات قبل التحسينيات... وهكذا الأهم فالأهم.

ثانياً: الاقتداء برسول الله ﷺ، فهو لم يكلف الناس فجأةً بالدين كله، وإنما بدأ بالأهم فالأهم حسب ترتيب الأولويات، وبين أيدينا في سيرته وفي سنته الشريفة نماذج تطبيقية تدلنا على ذلك.

ثالثاً: ترتيب الأولويات سنَّة ربَّانية موافقة للفطرة الصحيحة السوية، وتقبلها النفوس السليمة والعقول الراجحة.

يقول المفكر الإسلامي الشهير أبو الأعلى المودودي (ت١٣٩٩هـ): «لا ينبغي أن نُغفل قاعدة تُدرك بالفطرة، وهي أنَّه لا يحدث تغيير في الحياة الاجتماعية إلا بترتيب الأولويات والتدرج».

رابعاً: الواقع التاريخي والواقع المشاهد يدلان على أنَّ المشاريع الناجحة هي التي اتبع فيها سياسة ترتيب الأولويات، أما سياسة الاستعجال والمغامرات الطائشة لتحقيق مآرب معنة، والاندفاعات والقفزات السريعة،

وحرق المراحل وخلط الأوراق، فهي وبال على المجتمع وتراجع إلى الوراء.

خامساً: إنَّ معرفة الأولويات تُعتبر الركن الأعظم والأهم في تدبير السياسة الشرعيّة، حيث إنَّ أوجب الواجبات على القائم بأمر السياسة الشرعية أن يكون على درجة عالية من الاجتهاد؛ ليحسن اختيار أولوياته، وهنا وضع أهل العلم قاعدتهم الفقهية المشهورة: تصرف الإمام على الرغبة منوط بالمصلحة.

سادساً: إنَّ عدم ترتيب الأولويات كثيراً ما يؤدي إلى خلل في فهم النصوص الشرعية، وفي قراءة الواقع وتنزيل الأحكام الشرعية عليه، انظروا إلى هؤلاء الذين استباحوا دماء الأبرياء ويستفتون ببعض المسائل الجزئية، هل يجوز للدولة الإسلامية أن يكون لها علمٌ خاص ينبئ بشعارها الوطني أم لا؟ وهل كانت رايات رسول الله ﷺ في الغزوات راياتٍ سوداء أم بيضاء؟

فحالهم مثل حال هؤلاء الذين جاؤوا إلى ابن عمر وسألوه عن دم البعوض، وقتل المُحرم للذباب، فقال لهم: من أين أنتم؟ قالوا: من أهل العراق، فقال ابن عمر: انظروا إلى هؤلاء يسألون عن دم البعوض والذباب، وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر (ت٨٥٢هـ) في تعليقه على القصة في كتابه الفذ «فتح البارئ بشرح صحيح الإمام البخاري»: «أورد ابن عمر هذا متعجباً من حرص أهل العراق على السؤال عن الشيء اليسير، وتفريطهم في الشيء الجليل».

- **إدارة النفس:**
  - تحديد الرؤية.
  - تحديد الرسالة.
  - موقعي بين الرسالة والرؤية.

- **الرؤية**[1]:
  - هي النتيجة النهائية التي تسعى شخصياً للوصول إليها.
  - هي الصورة الذهنية لما ترغب أن تكون عليه.
  - أين تريد أن تكون في المستقبل.

مواصفات الرؤية:

- مستقبلية: ليست في الحاضر أو الماضي.
- واضحة يمكن تصورها ورسم صورة لها.
- طموحة تصف حالة أفضل من الآن.
- قوية تثير الدافعية والانطلاق والطاقة.
- أن يتم اختيار كلماتها بعناية وتفكير وأن يتم وزن الدلالات الخاصة بكل عبارة فلا تكون مملة ولا سطحية باهتة ولكن صادقة ومخلصة حتى تثير الطموح لدى من يقرؤها وتدفعه إلى العمل كما أن هذه الكلمات ينبغي أن تعكس قيم الفرد التي سينطلق منها.

ولصياغة الرؤية ينبغي الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما هو شكل النجاح المطلوب أن تحققه؟
- ما هي الفرص المتاحة لك والتي لم تأخذ بها بعد؟
- ما الذي يمكن أن تفعله إذا توافرت لك هذه الموارد؟
- ماذا تريد أن يعرّف عنك في المجتمع؟

أما الرسالة: فهي تصف الحاضر وتصف وضعك اليوم وما الذي تفعله لقيادة ذاتك لتحقيق وتنفيذ رؤيتها، فالرسالة هي كيف سنمضي إلى تحقيق رؤيتنا؟

---

(١) أحمد رزق، كيف تدير ذاتك وتقود رحلة حياتك ـ البحرين، مركز المير للتدريب.

فالرسالة: مهمة الشخص المنطلقة من رؤيته والموضحة لها على ضوء رؤيتك أجب عن الأسئلة التالية:

- من أنا؟
- ما طبيعة عملي؟
- إلى من أقدم رسالتي؟
- ما الذي سأقدمه لنفسي؟
- ما القيم التي تحكم عملي؟

مواصفات الرسالة:

مستمرة: تأمين ـ تقوية ـ تعليم ـ مساعدة.

المضارع: ليست في الماضي أو المستقبل، الآن.

مختصرة: مع اشتمالها على عدة معاني.

الفرق بين الرؤية والرسالة:

الرسالة: تتضمن أهدافاً عامة يمكن تحقيقها.

أما الرؤية: هي آمال في المستقبل البعيد والتي لا يمكن تحقيقها حالياً.

موقعي من الرسالة والرؤية:

هل لديك رؤية ورسالة؟

رسالة ورؤية: هؤلاء يعرفون مسارهم وتخصصهم فيه، ولديهم أهداف واضحة فهؤلاء العظماء المؤثرون، السعداء، الأقوياء، المنتجون، الواضحون، مثلهم مثل الأنبياء والرسل والقادة الذين غيروا في أممهم ومجتمعاتهم.

رسالة دون رؤية: فهؤلاء يعرفون مسارهم لكن ليس لديهم خطة

مكتوبة فهؤلاء الصالحون، نافعون والقادة والمربون وهؤلاء جيدون غير أنهم غير واضحين في تحقيق الرسالة ليس لديهم خطة ومتابعة، وفيهم جمع كبير ربما الأكبر من المتدينين والمشايخ.

رؤية دون رسالة: فهؤلاء يعرفون ما يريدون دون أن يحددوا مسار حياتهم مثلهم مثل العاملين في مؤسسات هادفة والتجار المركزيين في تجارتهم فقط من أجل المال والنجاح وهؤلاء جيدون في الخطوط الثانية في سير الحياة لكن عادة ما يحققون النجاح ولا يحققون السعادة.

لا رسالة ولا رؤية: لا يعرفون مسارهم في الحياة ولا يعرفون ما يريدون، فهم أنواع منهم الحائرون فهؤلاء عليهم تحديد مساراتهم وتخطيط حياتهم فالرسالة مرتبطة ارتباطاً عميقاً في السعادة والرؤية مرتبطة ارتباطاً عميقاً في النجاح، ولك الخيار لو شئت أن تجمع بين الرسالة والرؤية لتحصل على السعادة والنجاح معاً[1].

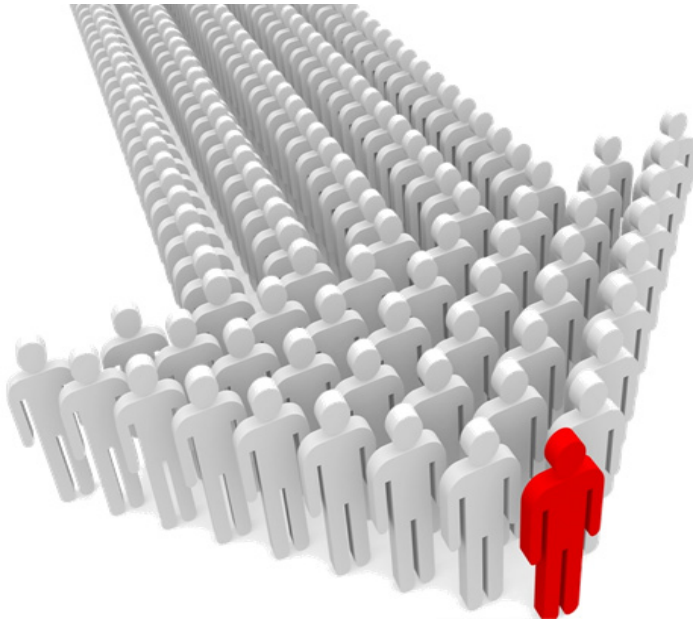

(١) أحمد رزق، كيف تدير ذاتك وتقود رحلة حياتك.

مفاتيح تقودك إلى النجاح

- معرفة الحقوق والواجبات.
- جدولة طريقة السير وفق الحقوق والواجبات.
- مفاتيح تقودك إلى النجاح.

معرفة الحقوق والواجبات

الحق أن الحق هو إرادة الشرع، فالحقوق في الإسلام منح إلٰهية تستند إلى المصادر التي تستنبط منها الأحكام الشرعية، فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه، فمنشأ الحق هو الله تعالى، إذ لا حاكم غيره، ولا تشريع سوى ما شرّع، وقرّر الإسلام تقييد الأفراد باستعمال حقوقهم بمراعاة مصلحة الآخرين وعدم الإضرار بمصلحة الجماعة، فليس الحق مطلقاً وإنما هو مقيّد بما يفيد المجتمع ويمنع الضرر عن الآخرين.

تعريف الواجبات:

هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلباً حتمياً بأن اقترن طلبه بما يدل على تحتيم فعله. وبعبارة أخرى، هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام، سواء أكان ذلك مستفاداً من صيغة الطلب نفسها أو من قرينة خارجية.

معنى الحقوق لغة واصطلاحاً:

إذا كان المقصود بالحقوق مصالح أو حُريات يتوقعها الفرد أو الجماعة من المجتمع وفق ما يسود هذا المجتمع من معايير وقيم، فإن الفرد عموماً له في الإسلام من الحقوق ما يتلاءم مع مصالحه وحرياته وفق شريعة الله ومنهجه ونظامه.

وإذا كان الحق نوعين ـ كما يرى علماء الاجتماع ـ حق طبيعي وهو

اللازم للإنسان بحكم كونه إنساناً، وحق وضعي تقرّره القوانين والنظم الاجتماعية مثل حق الإنسان في التعلّم والرّعاية الصحيّة والعمل والتأمين ضد العجز والبطالة والشيخوخة والعدالة الاجتماعية.

إذا كان الحق على هذا التنوع فإن الإسلام كفل للإنسان هذين الحقين الكاملين، حقه الطبيعي بحكم كونه إنساناً كاملاً ومميّزاً عن بقية المخلوقات وحقه الاجتماعي في التعلم والرعاية والعمل والتأمين ضد العجز والبطالة والشيخوخة والعدالة الاجتماعية، كفل له ذلك من خلال منهج رباني عادل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، منهج يحقق له كافة مصالحه في الدنيا والآخرة، وكافة حرياته في الفكر والعقيدة وفي إبداء الرأي والتعبير وفي العمل في إطار منهج الإسلام في الحياة.

والحقوق: جمع حق، والحق ضدّ الباطل، وكل حقّ يقابله واجب، والحق في اللغة: الثابت، ويستعمل مجازاً، واصطلاحاً إسلامياً، وقانونياً، وأخلاقياً، وفلسفياً، وله معان عدّة، واختلف العلماء في الشريعة والقانون على تعريفه بألفاظ عدة، والحق: هو مصلحة مقرّرة شرعاً.

فالحق مصلحة تثبت لإنسان، أو لشخص طبيعي أو اعتباري، أو لجهة على أخرى، والمصلحة هي المنفعة، **ولا يعتبر الحق إلا إذا قرره الشرع والدين والقانون المدني**، ومعنى الحق في موضوعنا: مصلحة ومنفعة قررها الله ـ جلَّ جلاله ـ الشارع المشرع لينتفع بها صاحبها، ويتمتع بمزاياها. قال الأستاذ مصطفى الزرقا، الحق: هو اختصاص يقرّر به الشرعُ سلطةً أو تكليفاً، يشمل أنواع الحقوق الدينية كحق الله على عباده من صلاة وصيام ونحوهما، والحقوق المدنية كحق التمليك، والحقوق الأدبية كحق الطاعة للوالد على ولد، وللزوج على زوجته، والحقوق المالية كحق النفقة، وغير المالية كحق الولاية على النفس.

أشار تعريف منشأ الحق أن الحق هو إرادة الشرع، فالحقوق في الإسلام منح إلٰهية تستند إلى المصادر التي تستنبط منها الأحكام الشرعية، فلا يوجد حق شرعي من غير دليل يدل عليه، فمنشأ الحق هو الله تعالى،

إذ لا حاكم غيره، ولا تشريع سوى ما شرّع، وقرّر الإسلام تقييد الأفراد باستعمال حقوقهم بمراعاة مصلحة الآخرين وعدم الإضرار بمصلحة الجماعة، فليس الحق مطلقاً وإنما هو مقيّد بما يفيد المجتمع ويمنع الضرر عن الآخرين، والحق في الشريعة يستلزم واجبين: **واجب عام على الناس باحترام حق الشخص** وعدم التعرض له.

وواجب خاص على صاحب الحق بأن يستعمل حقه بحيث لا يضر الآخرين.

أركان الحق:

للحق ركنان: صاحب الحق، ومحل الحق.

صاحب الحق: هو الله تعالى في الحقوق الدينية، الذي يتمتع بالسلطات التي يمارسها على محل الحق. ومحل الحق هو الإنسان منذ بدء تكوينه جنيناً إلى حين وفاته.

أنواع الحق:

التقسيم الأول: باعتبار صاحب الحق.

ينقسم الحق بهذا الاعتبار إلى ثلاثة أنواع: حق، وحق الإنسان، وحق مشترك، وهو ما اجتمع فيه الحقان ولكن قد يغلب حق الله أو حق الإنسان الشخصي.

١ ـ حق الله تعالى:

وهو ما قصد به التقرب إلى الله تعالى وتعظيمه وإقامة شعائره الدينية، أو تحقيق النفع العام للعالم من غير اختصاص بأحد من الناس، وينسب إلى الله تعالى لعظم خطره وشمول نفعه، أي أنه حق للمجتمع.

مثال (١): العبادات المختلفة من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنذر واليمين وتسمية الله عند الذبح وكل أمر ذي بال.

مثال (٢): الكف عن الجرائم وتطبيق العقوبات من حدود (حد الزنا والقذف والسرقة وشرب المسكرات) ومحاسبة على الجرائم المختلفة، وصيانة المرافق العامة من أنهار وطرقات ومساجد وغيرها...) واستيفاء عقوبة هذه الجرائم للحاكم.

٢ ـ حق الإنسان (أو العبد):

ويقصد منه حماية مصلحة الشخص، سواء أكان الحق عاماً كالحفاظ على الصحة والأولاد والأموال وتحقيق الأمن، وقمع الجريمة، ورد العدوان، والتمتّع بالمرافق العامة للدولة.

٣ ـ الحق المشترك:

وهو الذي يجتمع فيه الحقان حق الله وحق الشخص.

مثال (١): عدة المطلقة ـ وحد القذف.

مثال (٢): حق القصاص الثابت لولي المقتول، وفيه حقان: حق الله وهو تطهير المجتمع عن جريمة القتل النكراء، وحق للشخص: وهو شفاء غيظة وتطييب نفسه بقتل القاتل.

أحكام الحق:

أحكام الحق: هي آثاره المترتبة عليه بعد ثبوته لصاحبه، وأحكامه ما يأتي:

١ ـ استيفاء الحق:

أ ـ استيفاء حق الله تعالى في العبادة والمعاملات وفي منع الجرائم والمنكرات.

ب ـ استيفاء حق الإنسان.

٢ ـ حماية الحق: قررت الشريعة حماية الحق لصاحبه من أي اعتداء بأنواع مختلفة من المؤيدات منها المسؤولية أمام الله، والمسؤولية المدنية، وتقرير حق التقاضي.

فالعبادات التي هي نوع من حقوق الله تعالى حماها الشرع بوازع الدين ودافع الإيمان القائمين على الرهبة من عذاب الله، والرغبة في ثوابه ونعيم الدنيا وهناك نوع آخر من الحماية للعبادة وهو الحسبة، والحسبة هي وظيفة إدارية للدولة مهمتها مراقبة الناس والأسواق وحماية الناس من الانحراف عن آداب الدين، ومن جشع التجار والصناع والغش والبيع بأكثر من ثمن المثل وعدم إجادة الصناعة، وخلاصة مهمتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وهو حق ثابت لكل فرد من أفراد الأمة، وللمحتسب وهو والي الحسبة مطالبة تارك الصلاة والزكاة، أو المفطر في رمضان بأداء ما تركه.

ولكل مسلم رفع دعوى الحسبة على المعاصي إلى المحتسب أو القاضي ليؤدب العاصي بما يردعه ويزجره عن ترك العبادات وغيرها[١].

معنى الواجبات لغةً واصطلاحاً:

تعريف الواجب وحكمه:

الواجب: هو ما طلب الشارع فعله من المكلف طلباً حتماً بأن اقترن طلبه مما يدل على تحتيم فعله. وبعبارة أخرى، هو ما طلب الشارع فعله على وجه الحتم والإلزام، سواء أكان ذلك مستفاداً من صيغة الطلب نفسها أو من قرينة خارجية.

ويستفاد الوجوب إما من صيغة الأمر، أو من المصدر النائب عن فعله، أو من الفعل المشارع المقترن باللام. أو من أساليب أخرى تستعمل في اللغة العربية للدلالة على الطلب الجازم.

---

(١) الزحيلي، وهبة، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج٤، ٧ ـ ١٥ بتصرف.

أما حكم الواجب: حكمه أنه يلزم الإتيان به، ويثاب فاعله، ويعاقب تاركه، ويكفر من أنكره إذا ثبت بدليل قطعي.

ويسمى الواجب فرضاً أيضاً عند جمهور العلماء إذ الواجب هو عبارة عن خطاب الشارع بما ينتهض تركه سبباً للذم شرعاً.

وينقسم الواجب باعتبار المطالب بأدائه إلى قسمين:

واجب عيني وواجب كفائي.

أما الواجب العيني:

هو ما طلب الشارع فعله من كل فرد من أفراد المكلفين به، ولا يجزئ قيام مكلف به عن آخر كالصلاة والزكاة...، واجتناب المحرمات كالخمر والزنا.

وحكمه: أنه يلزم الإتيان به من كل مكلف، ولا يسقط طلبه بفعل بعض المكلفين دون بعض ولا تصح النيابة فيها بدون خلاف إلا ما كان من النية كإجماع الصبي وغيرها من الفرائض.

أما الواجب الكفائي:

هو ما طلب حصوله من غير نظر إلى ما يفعله وإنما يطلب من مجموع المكلفين.

وذلك كتعلم الصنائع المختلفة وبناء المستشفيات والقضاء والإفتاء والصلاة على الجنائز ورد السلام، وغير ذلك مما طلب الشارع وجوده بقصد تحقيق مصلحة دون أن يتوقف على قيام كل مكلف بها، وإنما يحصل الغرض من بعض الأفراد المكلفين.

وحكمه: أنه يجب على الكل، وأنه إذا فعله أحد المكلفين سقط الطلب عن الباقين، وارتفع الإثم عنهم جميعاً، وإذا أهمله الجميع أثموا جميعاً.

جدولة طريقة السير
وفق الحقوق والواجبات

حقوق	واجبات
١ ـ عقائد حق الله على العبد. . .	
٢ ـ عبادات حق الله على العبد	
٣ ـ معاملات حق الله على العبد	
٤ ـ أخلاق حق اجتماعي ـ عائلي	
٥ ـ تطوير	

الخاتمة

وفي الختام نستخلص ونقول:

الحمد لله الذي أنعم علينا، ونعم الله لا تعد ولا تحصى، فمن نعم الله الجليلة على عباده، الفكر المدرك للمعرفة والإرادة الممكَّنَة في حرية الاختيار، والحواس الظاهرة والباطنة والرزق والصحة، وتسخير، المسخرات في الكون، كالشمس والقمر والنجوم والبحار والأنهار والجبال والليل والنهار والأنعام والمراكب وغيرها، واصطفى لنا الدين، وبعث لنا الرسل الأكرمين وخاتمهم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وأنزل القرآن الحاوي لما فيه هداية البشر، وإرشادهم إلى الصراط المستقيم لأجل سعادتهم العاجلة والآجلة، وما أعد الله للمؤمنين المتقين من جنات النعيم يدخلونها يوم الدين بفضل الله ورحمته بهم ومنها عفوه وغفرانه قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وبناءً عليه، وتأكيداً لما تفضل علينا به الله نستلهم منه تعالى الطريق الأقوم لحياتنا والمنهج الأسلم لتواصلنا وتعاملنا مع الآخرين مختصرين ذلك

بقولي رسول الله ﷺ عن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك، قال: «**قل آمنت بالله، ثمّ استقم**»[1].

فاستقامة النفس أمام الخوف من الله كافية أن تقوّم اعوجاجنا، وتثبت عقائدنا وتضمن لنا السلامة والسلام في علاقاتنا.

وما قول رسول الله ﷺ: «**لا ضرر ولا ضرار**». إلا اعتراف بحقوق المرء وتقدير ذلك من الآخرين، وحفظ النفس من كل ما يعرضها للخطر والحزن، كما هو اعتراف من المرء بحقوق الآخرين فيحسن تعامله معهم كي لا يضرهم ولا يضرونه... ذلك شرع الله فاستقم بعبادته... والله وليّ التوفيق.

وفي ختام دورة كيف تقود نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة، أخص بالذكر أختي المسلمة أدعوك باسم الأخوة الإنسانية بيننا أن تسمعي بأحاسيسك الدقيقة، ومشاعرك الجياشة، إلى كل ما يحب الله ويرضاه منك، بذلك تفوزين بالطمأنينة، بالراحة النفسية وبالسمو الروحي إذ تشعرين أن الله القويّ معك، ولك... رجاء... اتركي كل ما تعلمته من عبادات خارجه عن حدود الله وطاعات وتلبيات لنداءات غير نداء الله، وعودي... عودي بعقلك وإحساسك للانتماء إلى معرفة التكليف وفهم الكلام الذي اشتمل عليه التكليف، فإنّ من شأن المؤمنة الصادقة أن تعلن وتجهر بفخر لسماعها للأوامر والنواهي ولتفهّمها لها، لكونها صادقة مع نفسها.

أما القواعد الأساسية للإنصات فهي كالتالي:

١ ـ تحضري بدنيّا لقراءة هذا الكتاب، كيف تقود نفسك للنجاح في الدنيا والآخرة، (جلوس مريح، بعيداً عن الضوضاء، بعيداً عن ما يشغلك عن التركيز، وانفتاح وإصرار على فهم ما تقرئين وإدراك أبعاد ما تتعلمين...

---

(١) رواه مسلم.

٢ ـ اقرئي واقرئي بهدوء وتأنّ، وضعي إشارات لما لم تستطيعي فهمه، لكي تعيدي قراءته، مرة أخرى فيفتح الله على بصيرتك وبصرك.

٣ ـ رجاءً، ورجاءً حاراً مخلصاً، اقرئي بذهن منفتح وصدر رحب بعيداً عن الأحكام والمفاهيم المسبقة التي سمعتها أو اكتسبتها من غيرك في الحياة العامة المرتكزة على التقليد والعادات، لكي تكوني جاهزة لتلقي الأفكار الجديدة. ولا ترفضي سماع نفسك اللوَّامة التي ستحاسبك لأنها تريد لك سعادة الآخرة.

٤ ـ رجاءً، رجاءً اكبحي الأنا لديك وتحلي بالشجاعة اللازمة لنقد نفسك الأمارة بالسوء فتستطيعين بذلك نقد ذاتك ومحاسبتها بعد الانتهاء من قراءتك...

٥ ـ ركزي على الكلمات، تصلي إلى مفهوم الفكرة وبعدها إلى تحليلها وربطها وتقييمها لتصلي في النهاية إلى اتخاذ القرار الصائب لمصلحتك في الدنيا والآخرة... وإياك تتناسي أن هناك آخرة هي الحياة الخالدة.

٦ ـ حين تقرئيين الكتاب ضعي نفسك مكان المتلقي الإيجابي تمارسين بحرية الاستماع والإنصات والتفكر بأوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه.

٧ ـ حدّدي مسار شخصيتك وخطك في الحياة راجية أن يكون الله فوق الجميع ومن ثمّ نفسك ثمّ الآخرين... نصيحة صادقة لك، إياك أن تنسي نفسك فهي بحاجة ماسة لإعادتها إلى الفطرة السليمة التي فطرك الله عليها.

الآن هل أنت جاهزة للانطلاق؟

في هذا الكتاب:

والآن نسألك بصدق وصراحة:

هل وقفت أيتها المرأة وقفة مع نفسك؟

- هل سألتها يوماً ماذا تريد؟

- هل سألت نفسك من أنت وما هي هويتك وما هي وظيفتك وما هدفك في الحياة؟

- هل سألت نفسك مرة واحدة وقلت هل نلت السعادة التي أريد؟

ألم تلاحظي حالة الإكتئاب التي أحاطتك؟ لمَ لا تحركين ساكناً لكي تغيري حياتك؟

- هل لا حظت أنك تكبرين يوماً بعد يوم وأنّ الزمن يسير سريعاً فتقولين إلى أين المسير؟

- هل جهزت نفسك ليوم المصير؟

- هل جهزت إجابتك للمولى العلي القدير؟

- ماذا ستجيبين؟ بعد أن عرفت ما أنعم الله -عزّ وجلّ- عليك وأكرمك بجميع النعم.

قفي الآن وقفة مع نفسك للإجابة عن هذه الأسئلة:-

أولاً: ما هدفك في هذه الحياة؟

ما هويتك الحقيقيّة كإنسان؟

ما وظيفتك في هذه الحياة القصيرة؟

وهل أديتها كما يحب الله ويرضى؟